بحوث ودراسات
فى
تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية
- ١ -
معركة ملاذكرد

البيزنطيون والأتراك السلاجقة
فى
معركة ملاذكرد
(١٠٧١م / ٤٦٣هـ)
فى مصنف نقفور برينيوس

دراسة مقارنة للمصادر

تأليف
الدكتور
فايز نجيب اسكندر
كلية الآداب ببنها - جامعة الزقازيق

١٩٨٤

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / فايز نجيب أسكندر
القاهرة



البيزنطيون والاتراك السلاجقة
في معــركة ملانكرد




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بحوث ودراسات
فى
تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية
— ١ —
معركة ملانكرد

البيزنطيون والأتراك السلاجقة
فى
معركة ملاذكرد
(١٠٧١م / ٤٦٣هـ)
فى مصنف نقفور برينيوس
دراسة مقارنة للمصادر

تأليف
الدكتور
فايز نجيب اسكندر
كلية الآداب ببنها — جامعة الزقازيق

١٩٨٤





لا يهدف هذا البحث الى تكرار او استعراض ما سبق ذكره فى المراجع الاجنبية والعربية عن « معـــركة ملاذكرد » (١٠٧١م/٤٦٣هـ) والدخول فى تفصيلات افاض المؤرخون فى ذكرها ، وانمـــا يهـــدف أساســـا الى ابراز المعلـــومات الجديدة التى زودنا بهـــا المؤرخ البيزنطى « نقفور برينيوس » «Nicephori Bryennii» ـــ حفيد قائد الجناح الايسر للجيش البيزنطى ـــ فى مصدره الهام « كتب التاريخ الاربعة » «Historiarum Libri Quattuor» وذلك فى محاولة لاضافة الجديد من المعلومات عن «معركة ملاذكرد»، اغفلتها كافة المراجع الاجنبية والعربية نتيجة تجاهلها هذا المصدر الهام .

فالاتراك السلاجقة تابعوا رسالة المسلمين فى قتال الروم ، وتمكنوا عقب انتصارهم فى « ملاذكرد » على البيزنطيين ، من انتزاع أرض الاناضول وصبغها بصبغة تركية اسلامية . وبذلك مهدوا للاتراك العثمانيين السبيل الى القضاء على الامبراطورية البيزنطية ، والوصول الى الاراضى والبحار الاوروبية ، فكان لهذا أثره البالغ والبعيد المدى فى تســـيير مجـــرى تاريخ وحضارة ومستقبل كثير من البلاد الاسلامية وغير الاسلامية ، والذى مازال بعضه ملموسا الى يومنا هذا .

هكذا تدخل « معركة ملاذكرد » فى عداد المعارك الحاسمة التى غيرت مجرى تاريخ العصور الوسطى عامة والامبراطورية البيزنطية خاصة .

وكان من الطبيعى أن تعتمد هذه الدراسة التحليلية النقدية على العديد من المصادر عربية وغير عربية . فأما المصادر العربية ، فمنها ما هو مخطوط لم ينشر بعد ، وما هو مطبوع . وأما الاصول الاجنبية ، فمنهـــا البيزنطى

والارمنى والسريانى واللاتينى ، وبعضها لايزال بلغاته الاصلية التى كتب بها ، والبعض الآخر ترجم الى اللغات الاوربية الحديثة .

هذا وقد راعينا اثبات مختلف وجهات النظر كما عبرت عنها المصادر الاخرى من عربية وغير عربية ، المعاصرة « لنقفور برينيوس » والمتـأخرة عنه نسبيـا ، فى حواشـى البحث . والهدف من ذلك عدم الاخلال بالنص الاصلى .

والله ولى التوفيـــق ؟

قسنطينة فى أول يناير ١٩٨٤ .   فايز نجيب اسـكندر

اهميــة مصنف نقفـور برينيوس

زودنـا المـؤرخ البيزنطى نقفور برينيوس(١) «Nicephori Bryennii» فى مصدره « كتب التاريخ الاربعة »(٢) «Historiarum Libri Quattuor» على درجـة كبـيرة من الاهميـة عن التفـاصيل المطـولة لمعـركة ملاذكرد (١٠٧١م/٤٦٣هـ) ، نقلا عن جده الذى كان من بين الذين نسجوا مع العاهل البيزنطى رومانوس الرابع(١٠٦٨م — ١٠٧١م/٤٦٠م — ٤٦٣هـ) خيـوط الهزيمة الساحقة التى منى بهـا الجيش البيزنطى على يد الاتراك السلاجقة ، اذ كان جـده — المدعو نقفوربرينيوس أيضـا — قائدا للجناح الايسر للجيش البيزنطى . لذا ، امتـاز مصنف نقفوربرينيوس بتزويدنا بتفـاصيل التكتيكـات الحربية وفنون الحرب لدى الطـرفين المتصارعين ، فأصبحت روايتـه أكثر حيـوية من روايات غيره من المؤرخين المعـاصرين مثـل بسيللوس Psellos الذى اكتفى بتزويدنا بأسـطر لا تتعـدى أصـابع اليـد عن معـركة فاصلة فى تاريخ العصـور الوسطى عامة وتاريخ الامبراطورية البيزنطيـة خاصـة(٣) ، اذ كانت هزيمـة ملاذكرد بمثـابة بداية النهـاية لتلك الامبراطورية الشامخة .

نقفور برينيوس قائد الجناح الايسر للجيش البيزنطى :

ونقفوربرينيوس ، قائد الجناح الايسر للجيش البيزنطى وجد مؤرخنا ، هو الابن الاكبر للقربلاط(٤) Curopalate برينيوس زوج آن فاتتزينا(٥) Anne Vatatzina تعلم قائدنا فنون الحرب والقتال على يد والده وتألق نجمـه خلال عهـد رومانوس الرابع (أول يناير ١٠٦٨ — ٢٦ أغسطس ١٠٧١م) ، فقد ذكرت آن كومنين Anne Commène زوجة مؤرخنـا : أن العاهل البيزنطى كان يقدر ذكاء قائده نقفور وسلوكه الحميـد حتى أنه قرر اعتباره شقيقه بالتبنى(٦) وقد شـارك قائدنا فى معركة ملاذكرد(٧)، وكان آنذاك يحمل لقب ماجستروس(٨) Magistros وأسندت اليه مهـام

دوق كل الغرب(٩) duc de tout l'Occident وبوصول الجيش البيزنطى

الى قبدوقيا ، توسل نقفور الى الامبراطور رومانوس أن يتحصن فيها ،

أو على الاقل أن لا يتخطى ثيودوسيوبوليس(١٠) Théodosioupolis

وأن يظل فى الاراضى البيزنطية فى منطقة يتأقلم فيها الفرسان والمشـــاة ،

ولكن لم يؤخذ برأيه(١١) . وفى أثناء الاقتتال الذى خاض غماره فى ضواحى

ملازكرد ، لم يكن حسن بلاء نقفور أقل من شجاعته ومهارته فى خوض غمار

الحرب(١٢) . ففى خلال المعركة الحاسمة وذلك فى السادس والعشرين من

اغسطس سنة١٠٧١م(١٣) (١٤ ذى القعدة سنة٤٦٣هـ) ، اسـندت اليه

قيـادة الجنـاح الايسر للجيش البيزنطى . وقد حاول آنذاك الاتجـــاه

نحـو الامبراطور البيزنطى لنجـدته عنـدما علم أنه فى موقف لا يحسـد

عليـه ، لكنـه كان محـاطا بالاعداء السـلاجقة احاطة الدائرة بمعصم

اليـد ، فاضطر انيلو ذ بالفرار من ساحة القتـال . ولكن كان لفـراره

هـذا آثارة الطيبة ، اذ لم يسقط اسـيرا فى قبضـة السلطان السلجوقى

الب ارسـلان(١٤) (٤٥٥ — ٤٦٥هـ/١٠٦٧ — ١٠٧٢م) . وقـد أوردت

آن كومنين فى كتابها « الالكسياد » Alexiade ان جد زوجهـا كان

مستشارا فطنا ، محنكا ، ذا تجارب ، ومتمرسا على فنون الاستراتيجيـة

والتكتيكات الحربية(١٥) .

نقفـور برينيوس المؤرخ :

هذه كلمة سريعة موجزة عن قائد الجنـاح الايسر للجيش البيزنطى

ودوره فى تاريخ الامبراطورية البيزنطيـة حتى معـركة ملازكرد ، دون

الدخول فى تفـاصيل ما بعـد ذلك حتى لا نخـرج عن موضـوع بحثنـا

وندخـل فى مواضيع فرعية . أما مؤرخنا نقفـور برينيوس صاحب « كتب

التـاريخ الاربعـة » ، فهو من مؤرخى النصف الاول من القرن الثـانى

عشر الميلادى ، وابن حنا برينيوس حاكم ديراخيوم(١٦) Dyrrachium

ولد حوالى عام ١٠٨٠م (٤٧٣هـ) ، وكانت زوجته المؤرخة آن كومنين ابنة الامبراطور البيزنطى الكسيس كومنين أصغر منه بقليل . اذ انهـــا ولدت يوم السبت الثـــانى من ديسمبر سنة ١٠٨٣م ، وتزوجا حوالى سنة ١٠٩٦ أو ١٠٩٧م ، بعـــد وفاة قسطنطين دوقاس خطيب آن كومنـــين فى صيف عام ١٠٩٤م(١٧) .

وترجع أول اشـارة الى مؤرخنا نقفور كصهر للامبراطور البيزنطى الى الثانى من ابريل سنة ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) ، اذا أوردت آن كومنين أن والدها الامبراطور البيزنطى الكسيس كومنين (١٠٨١ — ١١١٨م/٤٧٤ — ٥١٢هـ) كلف صهره نقفور بتأمين حراسة أسوار القسطنطينية ، ضـــد هجوم شنه الصليبيون(١٨) . أما زونوراس ، فقد أورد أن الامبراطور البيزنطى أنعم عليه بلقب « بنهيبارسبستى » Panhypersebaste بمنـــاسبة زواجه من آن كومنين(١٩) . كما أنعم عليه بلقب قيصر César حوالى عام ١١٠٩ أو ١١١٠م ، ويؤكد ذلك انه كان يحمل هذا اللقب عشية وفاة البطـــريرك البيزنطى نيقـــــولا جراماتيكوس Nicolas Grammatikos وذلك فى أوائل عام ١١١١م (٥٠٤هـ) . وفى عامى ١١١٤ و ١١١٥م (٥٠٨ و ٥٠٩هـ)، ذهب القيصر فى صحبة الكسيس كومنين الى فليبوبولى Philippoli ، وبذل قصارى جهده لتحويل بيالصه Manichéens (= Pauliciens) هذه المنطقة عن آرائهم التى تتسم بالهرطقة(٢٠) . وتذكر زوجته آن كومنين أن مؤرخنا تولى قيادة الجناح الايمن للجيش البيزنطى فى آخر حملة قادها والدها ضد الاتراك السلاجقة فى منطقة قونية Iconium وذلك سنة ١١١٦م(٢١) (٥١٠هـ) .

ولقد أوضح زونوراس مدى ما تمتع به برينيوس من مكانة ونفوذ فى عهد الكسيس كومنين ، حتى انه عندما مرض العـــاهل البيزنطى سنة ١١١٨م (٥١٢هـ) ، اعتبرته الحاشية خلفا له . ففى هذا الصدد يقول زونوراس :

« تمتع القيصر برينيوس بمكانة هائلة ومؤثرة ، حتى انه كان يعلن بنفسه وبصوته ما كان يحدث فى القصر الامبراطورى (أى بمثابة المتحدث الرسمى للدولة فى أيامنا هذه) . لذا كان الجميع يمثل أمامه . وقد أوكلت اليه مهام أمور العدل ، واتسمت مراسيمه بالطابع الامبراطورى ، واشتهر بأنه من المهتمين بالآداب »(٢٢) .

على أية حال ، فقد استماتت زوجته آن كومنين ووالدتها ايرين دوكاينا Irène Doukaina فى اقناع الكسيس على تعيين برينيوس خلفا له على عرش الامبراطورية البيزنطية بدلا من ابنه الاكبر حنا كومنين . لكن الكسيس لم يرضخ لتوسيلات ودموع زوجته ايرين . فيذكر خونيات Choniate ان الكسيس قال لزوجته « الا تكفى عن أن تعرضى على ما يعجب ابنتك ويرضى رغباتك ، اذ سينتج عن تلبية ذلك ، القضاء على الامن السائد فى ربوع الامبراطورية . يبدو انك مدفوعة بأفكار شيطانية ، وأتمنى أن تتسم أراؤك بالاعتدال أكثر من ذلك . فمن من أباطرة الروم القدامى فضل صهره على ابنه خلفا له على عرش الامبراطورية ؟ ومع ذلك ، اذا افترضنا أن اختيارا مثل هذا قد تم فيما مضى ، فسوف لا تعتبر ذلك الاستثناء قاعدة . اذا لبيت طلبك فسأكون اضحوكة الامبراطورية ، بل وسيعتقد الشعب البيزنطى اننى معتوه ويحجر على ، ولا أنسى أننى تسلمت زمام الامور وتربعت على عرش الامبراطورية بطريقة منافية ومخالفة للعقيدة المسيحية ، وذلك بعد ارتكابى لاعمال قتل . وبعد كل هذا تريدين أن استبعد ابنى خلفا لى على العرش وأعين بدلا منه المقدونى »(٢٣) . وبذلك فشلت محاولات زوجة الكسيس وابنته فى تنصيب مؤرخنا برينيوس على عرش الامبراطورية البيزنطية ويبدو أن مؤرخنا قبل تنحيته عن العرش عن طيب خاطر . الا أن زوجته آن — على حد قول خونيات — عملت على تحريض المتآمرين ، هادفة من ذلك قتل الامبراطور البيزنطى الجديد حنا كومنين شقيقها وابداله بالقيصر نقفور برنيبوس(٢٤) زوجها .

ولقد أكد العديد من مؤرخى القرن الثانى عشر الميلادى أن نقفور كان واسع الثقافة ، فصيح اللسان محبا للآداب ونصـــيرا لأهله . ولا نستطيع تأييد ذلك لأنه لم يصل الينا من مؤلفاته الا » كتب التـــاريخ الاربعة » التى كتبها فى عجلة تلبية لاوامر ايرين دوكانا Irène Doukaina زوجة الكسيس كومنين ووالدة زوجته آن كومنين ، وذلك فى أواخر أيام حيـــاته اذ أنه توفى فى حوالى نهاية عام ١١٣٧م (٥٣٢هـ) أو نهاية عام ١١٣٨م (٥٣٣هـ)دون اكمال مصنفه . ومما لاشك فيه أن مصنفه هذا لم يكن انتاجه الوحيد ، اذ أكدت آن كومنين فى كتابهـــا عن تاريخ والدها الكسيس كومنين «Alexiade» أن زوجها برينيوس ألف العديد من الكتب القيمة التى أكسبته شهرة ذائعـــة الصيت(٢٥) . وتواصل سردها قائلة أنه كان محبا للآداب والفلسفة ، لذا حظى أدباء عصره باهتمامه البالغ وكان هؤلاء يفخرون بالتردد على الصالون الادبى للامبراطورة ايرين دوكاينا ، وكثيرا ما طلبوا حماية القيصر فى أوقاتهم العصيبة(٢٦) .

هذه لمحة سريعة عن مؤرخنا القيصر نقفور برينيوس والذى شاء القدر أن يحـــول بينه وبين الوصـــول الى عرش الامبراطورية البيزنطية خلفـــا لاكسيس كومنين ، فحرمت الامبراطورية من أن يعتلى عرشها قائد ينتمى الى أعرق العائلات البيزنطية العسكرية فى ادرنه .

لمحـــة سريعة على محتـــويات مصنف ((كتب التاريخ الاربعة)) :

ومن المفيد حقا قبل الانتقال الى رواية برينيوس عن معركة ملاذكرد أن نلقى بنظرة سريعة خاطفة على مصنفه دون الغوص فى تفاصيل محتوياته . فالملاحظ أن الصفحات الاولى من المصنف مفقودة . كذلك يبـــدو أنه نقـــل الفصول الاولى من مقدمة كتابه حتى الفصل العاشر منها ، نقلها عن مؤرخ مجهول ، الا ان كتابته المنسوبة اليه والتى تتفق مع أسلوبه التاريخى(٢٧) تبـــدأ من الفصـــل الحـــادى عشر . ولقد عالج برينيوس فى مقدمته تاريخ

آل كومنين باختصار منذ عهد اسحق كومنين (أول سبتمبر سنة ١٠٥٧م — ٢٢ نوفمبر سنة ١٠٥٩م) مسلطا الاضواء على الكسيس كومنين ، وموضحا كيفيــة وصــوله الى العــرش . واختتم المقدمة بالحديث عن آل كومنين وآل دوقاس(٢٨) . هذا عن محتويات المقدمة ، أما كتابه الاول ، فقد تحدث فيه عن النشأة الاولى لكل من اسحق وحنا كومنين ، واختتمه بنهاية عهــد رومانوس الرابع(٢٩) (٢٦ اغسطس ١٠٧١م) . وقد استهل برينيوس كتابه الثانى بالحديث عن اعادة تنظيم حكومة الامبراطورية البيزنطية بعد انكسار رومانوس فى معركة ملاذكرد ، واختتمه بذكر اندلاع الفتن فى انطاكية وغزو الاتراك السلاجقة لبلاد الشام(٣٠) . واذا انتقلنا الى كتابه الثالث ، نلاحظ أن برينيوس بدأه بذكر أحوال الامبراطورية البيزنطية فى عهد ميخائيل الســابع (١٠٧١ — ١٠٧٨م/٤٦٣ — ٤٧١) واختتمه بنهاية عهده(٣١) . ثم يأتى فى النهاية كتابه الرابع ، ذكر فيه مؤرخنا أحوال الامبراطورية البيزنطيــة فى أوائل عهــد نقفور الثالث بوتانياتس (١٠٧٨ — ١٠٨١م/٤٧١ — ٤٧٤هـ) واختتمه بالحــديث عن معــركة ضــارية دارت بين الاتراك والبيزنطيين . ونستشف من حديثه هذا جحود وتصــارع القــادة العســكريين البيزنطين فيما بينهم(٣٢) .

تفاصيل معركة ملاذكرد فى « كتب التاريخ الاربعة » :

هذا عن الخطوط العريضة لمحتويات مصنف برينيوس « كتب التاريخ الاربعة » . وقد تجنبنا التطرف للمآخذ التى تؤخذ على مصنفه ، لأنها تزج بنــا فى متاهات بعيدة عن موضوع البحث . فالذى يهمنا على وجه الدقة ، التفاصيل التى أوردها مؤرخنا عن معركة ملاذكرد ، وتسليط الاضواء عليها ، مع عقد دراسة تحليلية مقارنة بينها وبين كافة المصادر الاخرى من بيزنطية وسلجوقية واسلامية وأرمنية وسريانية ولاتينية .

ولقد أفرد برينيوس الفصول من الثانى عشر الى الســابع عشر من

كتابه الاول للحديث عن معركة ملاذكرد فى صميمها . وقد تجاهلنـــا ما حدث من أحداث قبيل هذه الهزيمة وبعدها ، لانها مطروقة فى كافة المصادر والمراجع فالهدف من البحث الاتيان بالجديد وليس تكرار القديم . اشار مؤرخنـــا فى مستهل الفصل الحادى عشر(٣٣) من مصدره وعنــوانه وفاة القربلاط(٣٤) مانويل كومنين »(٣٥) الى أن الامبراطور البيزنطى روماتوس(٣٦) ، قد أعد العـــدة فى أوائل الربيـــع(٣٧) لخوض غمـــار حرب فاصلة ضـــد الاتراك السلاجقة(٣٨) ، واصطحب معـــه فى هـــذه الحملة خريسوسكولوس(٣٩) Chrysoskoulos وزحف بجيشه الجـــرار(٤٠) الى أن وصـــل الى نيقية(٤١) ثم الى دوريليوم(٤٢) Dorylée ، حيث أخذ يدرب جيوشه استعدادا لتلك الحرب الحاسمة(٤٣) .

وبعد أن أظهر برينيوس نوايا العاهل البيزنطى واستعدادته الضخمة لخـــوض معـــركة فاصلة ضد السلاجقة ، استهل فصله الثالث عشر(٤٤) وعنوانه « ديوجين قرر الزحف لقتال الاتراك » ، بذكر أنباء وصول رومانوس الى قبدوقيا(٤٥) ، حيث عقد مجلســـا حربيـــا استشاريا ضم كبار قادته واشهرهم . وتناقش الجميع خطة القتال ، واستشارهم الامبراطور البيزنطى حول مواصلة الزحف على بلاد فارس لقتال السلاجقة(٤٦) فى عقر دارهم ، ام البقاء فى أراضى الامبراطورية البيزنطية انتظارا لوصول الاعداء . علمـــا بأن أخبار مغـــادرة السلطان السلجوقى(٤٧) بلاد فارس ، وزحفه ببطء فى اتجاه أراضى الامبراطورية البيزنطية ، قد تسربت الى معســـكر العـــاهل البيزنطى . فاختلفت الآراء فى هذا المجلس العسكرى . وكان رأى فريق المنافقين المتملقين — على حد قول مؤرخنا — هو عدم الانتظـــار اطلاقا ، والاسراع بالزحف لقتـــال السلطان الب ارســـلان فور تسلمه الى اقليم وسطان(٤٨) (فاتانا) Vatana فى ميديا(٤٩) (الفاسبوراكان) Médie وعارض هذا الرأى الفـــريق الثانى وعلى رأسه كل من الماجستروس(٥٠) جوزيف ترخانيوتس(٥١) Joseph Tarchaniotès قائد الجـــزء الاكبر

من الجيوش البيزنطية ، ونقفوربرينيوس(٥٢) — جد مؤرخنـا — ودوق كل الغرب ، واعتبر القائدان أن رأى الفـريق الاول خاطىء تماما ، وتوسـلا الى الامبراطور البيزنطى أن ينتظر فى أراضى بيزنطة اذا امكن ذلك ، لجذب العدو داخل البلاد وأوضحا أن هذه الخطة تتطلب تحصن المدن المجـاورة لمعسكر الجيش البيزنطى ، واحراق القرى ايضا ، حتى يحرم العدو من التزود بالمؤن(٥٣) . وفى أسوأ الظروف والاحتمـالات ، على الجيش البيزنطى أن يواصل زحفه الى أن يصل الى ثيودوسيوبوليس(٥٤) **Theodosioupolis** ليقيم ويعسكر فيها ، انتظارا لوصول الاعداء ، ذلك لأن السلطان السلجوقى بعد انعدام مؤنة ، سيجبر على مهاجمة البيزنطيين على أراضى مناسبة لقتال الجيوش البيزنطية(٥٥) . ولكن لا حياة لمن تنادى ، فكأنهما يصرخان فى أذنى أصم(٥٦) . وانفض المجلس العسكرى بفوز فريق المنافقين ، فى حين كان ينبغى على العـاهل البيزنطى أن يأخذ برأى قادته الابطـال ومستشاريه الحكماء ، الذين لهم وزنهم وثقلهم الشخصى(٥٧) . الا أنه كان ثملا نتيجـة انتصاراته السابقة التى ملأته بالتكبر والغطرسة(٥٨) ، اذ تمكن من الاستيلاء على قلعة منبـج(٥٩) **Mempet** ، واخذ فى مطاردة كتائب من الاتراك الذين لا هم لهم الا السلب والنهب ، فنجح فى قتل عدد كبير منهم ، بل اسر أيضـا أعدادا اكبر(٦٠) . وكانت هذه الانتصارات دافعا قويا على تكبر وغطرسة الامبراطور البيزنطى، أضف الى ذلك ثقته التى لا حدود لها ، لترأسه جيوشا لا حصر لها(٦١) ، فاقت فى عددها جيوش أسلافه(٦٢) . فلأول مرة فى التاريخ البيزنطى يحشد جيش بمثل هذا العدد . وهكذا على رأس جيشه الجـرار ، زحف العـاهل البيزنطى مبـاشرة الى بلاد فارس لقتـال السلاجقة فى عقر دارهم(٦٣) .

هذا عن ما تم فى المجلس العسكرى الذى عقده رومانوس ، واختـلاف آراء القادة ، وأخذه بالرأى الخاطىء ، حسب رأى برينيوس ، الذى انحـاز

الى جانب رأى جده ورفيقه فى السلال جوزيف ترخانيوتس . واذا انتقلنا الى الفصل الرابع عشر(٦٤) وعنوانه « هجوم غير متوقع ، وأسربازيلاكس(٦٥) Basilakès » فقـد استهله ، برينيوس بذكر وصول الباسليوس الى ملاذكرد(٦٦) ، ووصول بازيلاكس للانخراط فى صفوفه مصحوبا بجيـوش جرارة حشدها من بلاد الشام وأرمينية(٦٧) . وكان بازيلاكس رجلا شجاعا ، قوى الشكيمة ، مفتول العضلات ، لكنه كان متهور الطباع ، يتميز بالاندفاع ، ولم يكن باستطاعته السيطرة على اندفاعاته . وبمـا أن من صفـاته تملق الامبراطور ، لذا كان لا يرد على أسئلته الا برد يتسـم بالحمـاقة وضيق الافق(٦٨) . وحدث أن كتب ليون دياباتينوس(٦٩) Léon Diabatènos رسالة الى الامبراطور البيزنطى يعلن فيها أن السلطان الب ارسـلان علم بأخبار الحملة البيزنطية ، فانتابه الرعب بسبب هذا الحشد الهائل من الجند ، لذا ترك بلاد فارس ولاذ بالفرار الى بغداد(٧٠) Babylone فصـدق رومانوس ما ورد فى هذا التقـرير ، وقام بتقسيم جيشه الى قسمين(٧١) ، احتفظ بالقسم الاول الى جواره ، اما القسم الثانى من الجيش ، فقد أرسله الى خلاط(٧٢) Klèat ، واسـند قيـادته الى الماجستروس جوزيف ترخانيوتس(٧٣) . وكان جوزيف قائداً قديرا على تنفيذ الخطط الحربية ، خبيرا بفنون الحرب وأصول علم الاستراتيجية . ولكنه فى ظل هذه الاحوال لم يكن مقتنعا ولا متحمسا للعمليات المأمور بتنفيذها ، اذ كان يائسا تماما . فلقـد أوصى الامبراطور البيزنطى بأن يحتفظ بكل قواته فى معسكره ، وان لا يقسم جيشه ، لأن الاتراك السلاجقة كانوا يعسكرون على مقـربة من المعسكر البيزنطى(٧٤) . الا انه فشل فى اقناع رومانوس برأيه ونصائحه ، فاضطر الى ان يتوجه الى خلاط على رأس قواته وكانت هذه المدينة آنذاك خاضعة لنفوذ السلاجقة ، تحميها حامية تركية قوية . الا أن الاتراك ، منـذ اليوم الثالث ، انقضوا على الجنود البيزنطيين الخارجين بصحبـة خيولهم لترعى ، فقتلـوا البعض منهم وأسروا البعض الآخر(٧٥) . وبمجـرد علم

رومانوس بهذا الحادث ، استدعى على الفور بازيلاكس ليستفسر منه عن مرتكبى هذه المذبحـــة وجنسياتهم ومركز عملياتهم الحربية . فرد بازيلاكس بتهور أنهم اتوا من خلاط للقيام باعمـــال السلب والنهب وبذلك اخفى بردء الاحمق علىامبراطور الروم عملية زحف اسلطان السلجوقى(٧٦) الذي لم يكن بعيدا عن معسكر الجيوش البيزنطيـــة والادهى من هذا أن العـــاهل السلجوقى كان يعد خطة الهجوم ، واضعا فى الاعتبار ترتيباته الماهرة لخوض غمار معركة فاصلة ، بينما الامبراطور البيزنطى يجهل تماما كل الذى يدور على مقربة منه(٧٧) .

كانت خطـــة الب ارســـلان تقوم على جذب الامبراطور داخل البلاد ، واثارته ليخاطر بنفسه ويتقدم الى الامام ، وبالتالى يقبض عليـــه كفريسة سقطت فى حبـــال شباك السلاجقة ، تحقيقا لهذه الخطـــة ، كان الماكر السلجوقى يرسل بفرسانه الى المعسكر البيزنطى ، وبمجرد وصولهم ، اليه يعودون على أعقابهم كأنهم يلوذون بالفرار . وبفضل تكرار هذه التكتيكات الحربية ، تمكن السلاجقة من القبض على بعض القادة البيزنطيين(٧٨) بعد أن نجحوا فى جذبهم لمطـــاردتهم وكان أول هؤلاء بازيلاكس ، الذى أراد أن يثبت للامبراطور البيزنطى أن مرتكبى حادث خلاط لا ينتمون الى جيش الاتراك السلاجقة ، ولكنهم من ســـكان خلاط المحبين للسلب والنهب . لذا ، طلب السماح له بالخروج من المعســـكر . فسمح له رومانوس بذلك ، فأمسك بسيفه الطويل ،وغمز جواده ، وانقض على الاعداء انقضاضا طائشا متهورا دون ترتيب صفوفه قبل النزال . وتبعه فى هجومه هذا جنوده ، فقـــاتلوا السلاجقة قتالا فوضويا بعيدا عن وحدة الصف والنظام فى الحرب ، اذ تصرف كل جندى كما يحلو له(٧٩) . ولاحظ الاتراك هذه الفوضى ، فتظاهروا بالفرار والتقهقر ، فطاردهم جنـــود بازيلاكس الى أن ابتعدوا كثيرا عن المعسكر البيزنطى الا أن السلاجقة سرعان ما استداروا فجأة لينقضوا على الجيش البيزنطى المتفرق هنا وهناك ، وبذلك نجحوا فى القضاء عليه قضاء مبرما .

وراح ضحية هذه المعركة أعداد لا حصر لها ، حتى أنه لم يبق أى رســول لينقل خبر تلك الكارثة الى المعسكر البيزنطى ، حتى بازيلكس أسر هو أيضا فى تلك المعــركة(٨٠) .

هذا عن تفسير بربينوس للاسباب التى دفعت رومانوس الى تقسيم جيشه الى قسمين ، واظهاره فشل جوزيف ترخانيوتس ـــ رفيــق جده فى السلاح والمعارضة ـــ فى اقناعه بالعدول عن هذه الخطة الخاطئة لقــرب السلاجقة من المعسكر البيزنطى . ونستشف من حديث مؤرخنا تعاطفه مع ترخانيوتس وتحامله على بازيلاكس ، اذ أظهر الاول فى صورة العالم الخبير بالاستراتيجية والتكتيكات الحربية ، فى حين كان الثانى من وجهة نظره لحمق ومتهورا ، وكان من نتائج ذلك وقوعه أسيرا فى قبضة السلاجقة . هذا عن أهم أحداث الفصل الرابع عشر . واذا انتقلنا الى الفصل الخامس عشر(٨١) وعنوانه « ايفاد برينيوس لنجدة بازيلاكس » ، فقد بداه مؤرخنا بالقول أنه عندما أخبر الامبراطور أن بلازكس خرج من المعسكر فى فوضى ودون ترتيب صفوفه ، وأنه انطلــق كالسهم لقتــال الاعــداء ، استدعى على الفــور نقفور برينيوس ، دوق كل الغرب ، والذى كان آنذاك قائدا للجناح الايسر للجيوش البيزنطية ، واصدر اليه أوامره بالرحيل فورا بصحبة قواته لانقاذ بازيلاكس من الاخطار المحدقة به ، وان يستميت فى الدفاع عنــه اذا كان متقهقرا(٨٢) . بالفعل ، لقد بدات الشكوك تساور العاهل البيزنطى ، ويشتابه القلق ، اذ شعر بخطورة موقف قائده(٨٣) على حد قول مؤرخنا .

على أية حال ، فقد أسرع برينيوس بتنفيذ أوامر الامبراطور ، فرحل وبصحبته جيوشه . وفى خلال زحفه السريع ، لم ير فى أول الامر لا صــديق ولا عدو . لكن بعد أن واصل زحفه بعيدا ، لاحظ كلما تقدم أكثر فأكثر ، كتائب الاعداء متمركزة على التلال . واستمر فى سيره قليلا الى أن عثر على جثث للجنود البيزنطيين(٨٤) ، فتسائل عن مصير بازيلاكس . وانتهى به المطاف

أخيرا أن قابل احد الجنـود الجـرحى الذى لايزال يلفظ أنفاسه الاخيرة ، فاستفسر منه عن ما حدث لبزيلاكس وجيشه . فسرد له الجندى الجريح المغامرة بأكملها . اما الاتراك السلاجقة ، فقد خرجوا من كل فج ، محاولين الاحاطة بكتائب برينيوس احاطة الدائرة بمعصم اليد . لكن القـائد البيزنطى لاحظ حيلتهم الماكرة ، فنصح جنوده أن يتسموا بالشجاعة ، وان لا يقدموا على تصرف يتسم بالجبن وهذا لا يليق بمكانتهم ومقامهم كبيزنطيين . ثم أصـدر أوامره الى جنوده بعمل نصف دائرة ، وأعادهم فى نظام وهدوء الى المعسكر البيزنطى دون اكتراث لأى اخطار محدقة به وبوصوله على مقربة من المعسكر البيزنطى ، تراس جزءا من جيشه ، وأصـدر اوامره الى الآخرين بالتزام أماكنهم ، ثم باغت الاعداء واجبرهم بسهولة على الفرار . الا أن السلاجقة سرعان ما أعادوا تجميع صفوفهم وعاودوا قتاله بجمـوعهم الغفيرة الا أن برينيوس أعاد توحيد قسمي جيشه ، وانسحب للانضمام الى الجيش البيزنطى الاساس حينئذ ، انقض عليه السلاجقة انقضـاض الاسد على فريسته ، فأصابوه بضربة رمح فى صدره ، وسهمين فى ظهره . وبعد قتال بطـولى — على حد قول حفيده المتعاطف معـه — تمكن من الانسحاب الى المعسـكر البيزنطى وبصحبته البقية الباقية من جيشه . ثم مثـل القـائد نقفور أمام رومانوس ، وزوده بتقـرير كامل عن كل هذه الاحداث . فتوسـل اليـه الامبراطور بالتزام خيمته لتضميد جراحه(٨٥) ، فنفـذ أوامر عاهله وظل تحت خيمته(٨٦) .

هكذا تفوح من هذا الفصل مبالغة مؤرخنا فى تمجيد بطولة جده فى حربه ضد الاتراك السلاجقة . اما الفصل السادس عشر(٨٧) وعنوانه « انتظام صفوف الجيش البيزنطى لخوض غمار القتال » فقد أورد فيه برينيوس أنه بمجرد بزوغ فجـر اليوم التالى وظهور الشمس فى الافق(٨٨) ، تم استدعاء جده للمرة الثانية للمثول أمام الامبراطور . فتوجه اليه محتقرا جروحه . واعتقد

مجلس حربى للتشاور فيما اذا كان من الافضل خوض غمار الحرب ، أو ابقاء الجيوش داخل المعسكر . فاقترح البعض بحكمة وتعقـل ، البقـاء داخل المعسكر ، واستدعاء القوات البيزنطية التى سبق ارسالها الى خلاط . وكان رومانوس ــ كما سبق أن ذكرنا ــ قد أرسل بنصف جيشه الى خلاط(٨٩) ، وكان قد اسند قيـادة هذا الجيش الى جوزيف ترخانيوتس . الا أن فريق المنافقين اقترح عكس ذلك ، اذ طلب ونادى بالهجوم . « ولا أعلم اذا كانوا جادين فى مطلبهم هذا أم لا » ، على حد قول مؤرخنا نقلا عن جده . وهكذا ، للمرة الثانية ، كان للاستشارة الخاطئة عواقبها الوخيمـة على مجـريات الاحداث ، وعلى مصير المعركة والجيش البيزنطى(٩٠) ، اذ أصدرت الاوامر بخروج الجيوش من المعسكر لملاقاة العدو . الا أن الاتراك عادوا ثانية الى ساحة الوغى اكثر قوة وعددا(٩١) . واندلع القتال ، فراح ضحيته اعداد لا حصر لها من السلاجقة ومن البيزنطيين ايضا ، وجرح برينيوس نفسه فى اماكن عديدة من جسمه ، ولكن بفضل حنكته وموهبته الاستراتيجية تمكن من اعادة الجزء الاكبر من كتائبه سالمة الى المعسكر البيزنطى ، وهى محتفظـة بكامل حيويتها(٩٢) حينئذ ، عندما وجد الامبراطور البيزنطى شدة هجمات الاتراك السلاجقة ، خرج هو ايضا بقواته لخوض غمار القتال ، ونظم جيشه فى كتائب امام المعسكر ، فرتبه على الشكل الآتى : أسند قيادة الجنـاح الايمن الى الياتس **Alyatès** (٩٣) وهو من قبدوقيا ، وينتمى بصلة قرابة للامبراطور البيزنطى . أما الجناح الايسر ، فكان تحت امرة برينيوس ، فى حين تولى رمانوس قيادة قلب الجيش ، واخيرا اسندت المؤخرة الى ابن القيصر ، اى الى اندرونيك دوقاس(٩٤) **Andronic Doukas** وكان اندرونيـك ليس فقط منحدرا من سلالة شهيرة ، لكنه ايضا كان حسن الخلق ويتسم بالفضيلة والخصال الطيبة . اضافة الى ذلك ، فقـد اشتهر بالبسـالة والخبرة فى العلوم العسكرية والاستراتيجية ، فكان واسع العلم بفنون الحرب . لكنه

لم يكن مخلصا للامبراطور ولا تربطه به علاقات ودية ، اذ كان يكن له العداء(٩٥) .

هكذا ، أوضح برينيوس فى هذا الفصل اختلاف الرأى فى المجلس العسكرى الثانى ، ولخذ رومانوس بالرأى الخاطىء لثانى مرة . كذلك نجح بمهارة منقطعة النظير فى أن يرسم لنا صورة واضحة المعالم عن تقسيمات الجيش البيزنطى قبيل اندلاع معركة ملاذكرد ، مشيرا اشارة عابرة الى انعدام الوفاق بين الامبراطور البيزنطى وبين قائد المؤخرة ، مما سيكون له عواقبه الوخيمة على مجريات الاحداث التالية لتى أوضح تفاصيلها فى الفصل السابع عشر(٦٩) من مصنفه وعنوانه « كارثة الجيش البيزنطى » استهل برينيوس هذا الفصل بالقول أن الاتراك السلاجقة عندما راوا أن الامبراطور البيزنطى قام بترتيب جيشه لخوض غمار المعركة ، اقلعوا عن تقسيم جيشهم لا على نظام الكتائب ولا على نظام الالوية والفرق ، والتمسوا السكينة والهدوء(٩٧) ذلك لأنه لم تكن لديهم اية نية لقبول خوض معركة رتيبة ومنظمة مع الجيش البيزنطى . لكن السلطان السلجوقى ، الذى كان فى مؤخرة جيشه ، كان يعد العدة فى نفس الوقت لخطة الهجوم المقبل(٩٨) : اذ أوكل قيادة جيشه الى الخصى طرنجسى Tarengès (٩٩) الذى كان يحظى بثقته الكاملة . فقسم الزعيم السلجوقى جيشه الى وحدات صغيرة عديدة ، ورتب فى المقدمة وحدات لجمع المعلومات عن جيش العدو والتجسس عليه . كذلك أحاط المعسكر البيزنطى(١٠٠) بوحدات صغيرة على هيئة كمائن . ثم أصدر اوامره بامطار خيالة الروم بوابل من السهام(١٠١) ، وتقدم الجيش البيزنطى لمساندة خيالته المهزومة ، فتظاهر السلاجقة بالتقهقر والانسحاب ، فطاردهم الجيش البيزنطى ، وبذلك وقع فريسة كمائن السلاجقة الذين قاموا بدورهم بتعقب مؤخرته ، فتكبد الجيش البيزنطى خسائر فادحة(١٠٢) .

أمام هذه الهزائم المتلاحقة ، قرر الامبراطور البيزنطى الدخول فى معركة فاصلة(١٠٣) . فتقدم بصحبة المشاة آملا فى الانقضاض على أعدائه دفعة واحدة . لكنهم تفرقوا وعادوا فجأة لينقضوا بوحشية بالغة على الجناح الايمن للجيش البيزنطى ونجحوا فى الحاق الهزيمة بمؤخرته(١٠٤) . وهكذا ، احاطوا بالامبراطور البيزنطى احاطة الدائرة بمعصم اليد ، وعزلوا جناحه الايسر الذى حاول قائده برينيوس جاهدا أن يزود العاهل البيزنطى بنجدات لانقاذه ، الا أن السلاجقة وقفوا له بالمرصاد ، وحالوا دون تحقيق احلامه فى انقاذ سيده ، بل نجحوا فى اجباره على الفـرار من ساحة الوغى . وبذلك أصبح قلب الجيش البيزنطى بقيادة رومانوس معزولا تماما ومحروما من كل عون أو مدد(١٠٥) أمام هذه الاخطار المحدقة به ، استل الامبراطور البيزنطى سيفه ، وأخذ يقتل السلاجقة تقتيلا كما يقول مؤرخنا(١٠٦) . لكن انتهى به المطاف أن احاطت به جموع غفيرة من الاتراك السلاجقة ، واصيب بجرح بالغ فى يده . وعندما تعرف عليه الاعداء(١٠٧) ، أحاطوا به من كل جهة ، فجرح جواده بضربة سهم ، فانزلق وانطرح أرضا الفرس والفارس(١٠٨) .

هكذا اصبح الامبراطور البيزنطى اسير معركة ملاذكرد(١٠٩) ، واقتيد مكبلا بالاغلال للمثول أمام السلطان السلجوقى(١١٠) . « لكن العناية الالهية صانته هذه الخاتمة المؤلمة(١١١) لاسباب اجهلها » على حد قول برينيوس . وسقط فى الاسر العديد من قادة الجيش البيزنطى ، أما الباقى ، فراح ضحية سيوف الاتراك السلاجقة(١١٢) ، الا أن القليل منهم لاذ بالفرار من ساحة القتال(١١٣) . وبذلك استولى الاتراك السلاجقة على المعسكر البيزنطى باكمله ، بما فيه خيمة الامبراطور والخزانة واجمل جواهر رومانوس الثمينة ، من بينها لؤلؤة شهيرة تسمى اليتيمة . اما الجنود الذين لاذوا بالفرار افلاتا من المذبحة المروعة ، فقد تفـرق كل منهم فى الاتجاه الذى يحلو له . وكان هدفهم الاوحد ، هو الاسراع بالعودة الى بلادهم سالمين ، سالكين طريقا أمينا غير محفوف بالاخطار(١١٤) .

هكذا أسدل المؤرخ نقفور برينيوس فى فصله السابع عشر الستار على معركة ملاذكرد(١١٥) ، بعد أن نجح الى حد كبير فى تزويدنا بتفاصيل حيوية ودقيقة عن تقسيمات الجيوش البيزنطية ، واظهاره بسالة الامبراطور البيزنطى فى خوض غمار القتال . ولم يفته اظهار براعة التكتيكات الحربية للاتراك السلاجقة ، وخاصة تركيزه على تظاهرهم بالفرار لجذب خصمهم على مطاردتهم ، ثم استدارتهم وانقضاضهم فجأة وعلى غير توقع على فلول المطاردين .

وبذلك نجح السلاجقة فى سحق الامبراطور البيزنطى وجيشه الجرار فى ملاذكرد وتحولت الامبراطورية البيزنطية الى ما يشبه الرجل المريض المحتضر ، الذى اخذ يضمد جراحه ما يناهز الاربعة قرون التالية ، الى ان توفى سنة ١٤٥٣م متأثرا بآلامه المبرحة التى طال أمدها . فأسدل العثمانيون الستار نهائيا والى الابد على الامبراطورية البيزنطية الشامخة . تلك الامبراطورية التى كانت احد أعمدة تاريخ العصور الوسطى والمحرك الاول لمجريات الامور وموازين القوى فى العالم آنذاك .

هذا وقد راعينا ــ كما سبق القول ــ اثبات مختلف وجهات النظر كما عبرت عنها المصادر الاخرى من عربية وغير عربية ، المعاصرة لنقفور برينيوس والمتأخرة عنه نسبيا ، فى حواشى البحث ، والهدف من ذلك عدم الاخلال بالنص الاصلى .

الحـــواشي والدراســـة المقـــارنة

(١) لمزيد من التفاصيل المطولة عن المؤرخ نقفور بريفيوس أنظــر :

Seger, Byzantinische Historiker des Zehnten und elften Jahrhunderts. I. Nikephoros Bryennios, Eine phililigisch-historische Untersuchung, Munich, 1888; Brehier, Dictionnaire d'histoire et de Géographie ecclesiastiques, X, 1938, pp. 996-998 : Wittek-De Jongh, Le Cesar Nicéphore Bryennios. L'Historien et ses ascendants, Byzantion, 25, 1953, pp. 463-468; Carile, Il problema della identificazione del Cesare Niceforo Briennio, Aevum, 38/I-II, 1964, pp. 74-83; Idem, Il «Cesare» Niceforo Briennio, Aevum, 42/V-VI, 1968, pp. 429-254 : Idem, Aevum, 43, 1969, pp. 56-87.

(٢) كان العالم اليسوعى الاب بيربوسين Pierre Poussines (عنه انظر

Biographie universelle ancienne et modernes, 35, Paris, 1823, pp. 586-588, notice signée W — S = Weiss; F. Cavallera, art. Poussines Pierre, D T C, XII, 2, Paris, (1935, Col, 2668-2670).

اول من قام بتحقيق مصنف نقفور برينيوس وذلك فى سنة ١٦٦١ نشره فى Corpus Byzantinae Historiae عقب نشــره للالكسياد مصحوبا بترجمة لاتينية وذلك فى سنة ١٦٤٩م (انظر :

Anne Comnenae Alexiadis libri XV, Lutetiae, 1649.

ثم أعد دي كانج Ducange تحقيقه الثانى الذى ظهــر فى البندقيـــــة سنة ١٧٢٩م . وبعــــــد ذلك اعد أوجست مينيك Auguste Meineke تحقيقه الثالث الذى ظهرفيبون سنة١٨٣٦ (أنظر :

Testimonis Veterum, ed. A. Meineke, dans C S H B., Bonn 1836).

واخيرا ، ظهر تحقيق رابع أعده منيو Migne (انظــر :
Patrologia Graeca, t. 127, Paris, 1864, col. 24-216.

وظهرت ترجمة « لكتب التاريخ الاربعة » باللغة الروسية سنة ١٨٥٦ (نظر :

Vizantijiskie istoriki, 1856, dans la Collection de l'académie ecclesiastique de Saint — Pétersbourg.

وثلاث ترجمات باللغة الفرنسية . الاولى أعدها كوزان (انظر
M. Cousin, Histoire de Constantinople depuis le règne de l'ancien Justin jusqu'à la fin de l'empire, traduite sur les originaux grecs, III, Paris, 1685, pp. 526-598.

وتتسم بعدم الدقة أما الترجمة الفرنسية الثانية ، فقد أعدها هنرى جريجوار وكانت أفضل بكثير من الاولى (انظر :

Nicephore Bryennios, Les Quatre Livres des Histoires, tr. Henri Grégoire, dans Byzantion, 23, 1953, pp. 469-530, livres I-II, et Byzantion, 27, 1957, pp. 881-926, livres III-IV.

واخيرا تأتى الترجمة التى أعدها بول جوتييه Paul Gautier وهى أفضل واكمل الترجمات (انظر :
Nicephori Bryennii Historiarum libri quattuor, tr. Paul Gautier, Bruxelles, 1975.

وقد استفدنا من الترجمتين الاخيرتين استفادة تكاد تكون كاملة لاخراج بحثنا هذا الى حيز الوجود .

(٣) تحدث بسيللوس عن الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع أكثر من حديثه عن ملاذكرد . انظر :

Psellos, Chronographie, texte etabli et traduit par Emile Renauld, paris, 1926-1928, t. II. 161-162.

(٤) عن لقب « قربلاط » Curopalate انظر حاشية رقم ٣٤ .

(٥) اكد برينيوس ذلك فى الفصل السابع من كتابه الثالث (أنظر :
Bryennios, tr. Gautier, III, ch. 7, p. 224.

كذلك ذكر اطالياطس أن امرأة من أسرة فاتتزس Vatatzès نجحت فى بذر بذور الفوضى والاضطراب فى اقليم رايادستوس Rhaidestos وذلك سنة ١٠٧٧م (٤٧٠هـ) ، واضاف قائلا أن زوجها ينتمى الى عائلة الثائر برينيوس (انظر :

Michaelis Attaliotae. Ed. I. Bekker, C S H B, Bonn, 1853, pp. 244-245.

واستنادا الى اقوال كل من المؤرخ سكيلتزر والمؤرخ زونوراس ، فان آن Anne هذه ، كانت شقيقة القائد حنا فاتتزس Jean-Vatatzès ، ذلك القائد الذى ظل مخلصا لليون تورنيكس Leon Tornikès (انظر :

Skylitzes-Cedrenus, Georgius Cedrenus Ioannis Scylitzae ope suppletus et emendatus. Ed. I. Bekker, II, C S H B, Bonn, 1839, p. 564; Zonoras, Ioannis Zonorae Epitomae Historiarum, libri XIII-XVIII. Ed. Th. Büttner-Wobst, III, C.S.H.B., Bonn, 1897, pp. 630-631.

وقد انجبت آن فاتتزينا ولدين هما نقفور وحنا . وقد ذكر

مؤرخنا أن حنا Jean كان شقيقا للقائد برينيوس (أنظر :
Bryennios, III, ch. IV, p. 216.

وعن القائد برينيوس (انظر : Anne
Commene, Alexiade, texte établi et traduit par Bernard
Leib, Paris, 1937-1943-1945, I, pp. 17-28.

وعن حنا Jean انظر : Alexiade, I, p. 20.

(٦) Alexiade, II, p. 196.

(٧) Bryennios, tr. gautier, I, ch. XV, p. 110; tr. H. Grégoire, p. 488.

(٨) عن لقب « ماجستروس » Magistros انظر حاشية رقم ٥٠

(٩) Bryennios, tr. Gautier, I, XIII, p. 106

ومهام دوق كل الغرب lacharge de
Duc de tout l'Occident تساوى وظيفة دمستق شولز الغرب
Domestique des Scholes d'Occident للتفاصيل أنظر :
R. Guilland, Recherches sur les Institutions
Byzantines, Berlin, 1967, I, p. 430; Bréhier, Les Institutions de L'empire Byzantin, Paris 1949, p. 368

(١٠) عن « ثيودوسيوبوليس » Théodosioupolis أنظرحاشيتهرقم٥٤ .

(١١) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIII, P. 107; tr. H. Grégoire, p. 488.

(١٢) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XV, p. 112; tr. H. Grégoire, p. 490.

(١٣) عن التحديد التاريخي لمعركة ملاذكرد أنظر حاشيته رقم ١١١ .

(١٤) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XVI, p. 114; tr. H. Grégoire, p. 491.

(١٥) Alexiade, II, p. 90.

(١٦) Bryennios, tr. Gautier, p. 23.

(١٧) Bryennios, tr. Gautier, p. 24; Zonoras, p. 738.

(١٨) Alexiade, II, p, 223.

(١٩) Zonoras, p. 739.

(٢٠) Bryennios, tr. Gautier, p. 25; Alexiade, III, P. 182; Zonoras, pp. 753-754.

(٢١) Alexiade, III, p. 202 et p. 205.

(٢٢) Zonoras, pp. 754-755.

(٢٣) Nicetae Choniatae Historia. Ed. I. Bekker, C.S.H.B., Bonn, 1835, p. 9.

(٢٤) Choniate, pp. 14-17.

(٢٥) Alexiade I, p. 5.

(٢٦) Bryennios, tr. Gautier, p. 29; Georges et Demetrios Tornikès, Lettres et discours. Ed. J. Darrouzès, Paris, 1970, pp. 250-256.

(٢٧) لمزيد من التفاصيل عن أسلوب برينيوس في الكتابة التاريخية أنظر :

Seger, Byzantinische Historiker des Zehnten und elften

Jahrhunderts. I. Nicephoros Bryennios. Eine philologisch-historische Unterschung, Munich, 1888, pp. 59-82.

(٢٨) Bryennios, Préface, pp. 54-73.

(٢٩) Bryennios, livre I, ch. I-XXV, pp. 74-141.

(٣٠) Bryennios, livre II, ch. I-XXIX, pp. 142-207.

(٣١) Bryennios, livre III, ch. I-XXVI, pp. 208-255.

(٣٢) Bryennios, livre IV, ch. 1-XL, pp. 256-311.

(٣٣) Bryennios, tr. Gautier, livre I, ch. XII, pp. 102-104; tr. Henri Grégoire, dans Byzantion, t. XXIII (1953), pp. 486-487.

(٣٤) شملت قائمة التشريفات البيزنطية ثمانية عشر لقبا تشريفيا . وكان اللقب الثامن عشر الا وهو « قيصر » Cesar اعلى تلك المراتب . أما لقب « قـــربلاط Curopalate فكان فى المرتبة السادسة عشر . ومنذ عام ٥٥٨م ، منح هذا اللقب الى الحكام الكرج ، ومنذ عام ٦٣٥/١٤هـ ، اغدق به الامبراطور البيزنطى على الحكام الارمن أيضا انظر :

Aristakès de Lastivert, Récit des Malheurs de la Nation Arménienne, tr. M. Canard, Bruxelles, 1973, p. 2, n. 3. Cf. Charles Diehl, Justinien et la Civilisation Byzantine au XIe siecle, paris, 1901, p. 98.

(٣٥) كان « مانويل كومنين » Manuel Comnène من اقـــرب المقربين الى الإمبراطور البيزنطى رومانوس الرابع . وقد عينه عقب تربعه على عرش الامبراطورية فى وظيفة « بروتستراتور »

protostrator للتفاصيل عن هذه الوظيفة العسكرية انظر
Guilland, Recherches sur les Institutions Byzantines, Berlin, 1967, t. I, pp. 478-497.

وفى ربيع ١٠٧٠م (٤٦٣هـ) تم تعيينه «ستراتيجوس اوتوقراطور»
Stratège autocrator

لجيوش الشرق (نظر :
Bryennios, tr. Gautier, ch. VII, p. 88. Michaelis Attaliotae Historia. Ed. I. Bekker, C.S.H.B, Bonn, 1853, p. 138; Ionnes skylitzes Continuatus, E. Th. Tsolakes, Thessalonique, 1968, p. 139; Ioannes Zonorae Epitomae Historiarum (Libri XIII-XVIII). Ed. Th. Büttner-Wobst, III, C.S.H.B., Bonn, 1897, p. 694.

وقد تمكن القـــائد البيزنطى مانويل فى خـــريف سنة ١٠٧٠م (٤٦٣هـ) من دحر الجيش السلجوقى بقيادة اريسغى زوج أخت الب ارسلان (تسمية المصـــادر البيزنطية باسم خريسوسكولوس Chrysoskoulos وعنه أنظر حاشية رقم ٣٩) . عقب معركة ضارية دارت بين المتخاصمين فى مدينة سيواس ، تمكن فيهـــا القائد البيزنطى من اجبار الجيش السلجوقى على الفـــرار من ميدان القتال (أنظر
Bryennios, ch. XI, p. 100; Attaliate, p. 139; Skylitzès Continué, p. 139; Zonoras, p. 694.

والجدير بالملاحظة أن المؤرخ البيزنطى « زونوراس » Zonoras اتهم الامبراطور رومانوس بتعمد تقليص قوات قائده مانويل ، بدافع الغيرة لما حققه هذا القائد الشاب من انتصارات متلاحقة (أنظر Zonoras, p. 694) . الا أن هذا الاتهـــام لا يتقبله

منطق العقل ويتنافى مع رواية برينيوس الذى أظهر مدى ما يكنه العاهل البيزنطى من حب وتقدير لقائده مانويل . ونستشف من هذا الاتهـــام الملفق ، حقد زونوراس على الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع ، على أية حال ، عقب النصر الذى أحــرزه مانويل على الجيش السلجوقى ، قام بتعقب فلوله الهاربة الى أن وصل بالقرب من معسكر العدو ، وهناك ، دارت معــركة ضارية انتهت بفرار الجيش البيزنطى من ساحة القتال ، فاضطر قائدنا أن يلحق بركاب الفـــارين . الا أن السلاجقة أحاطوا به احاطة الدائرة بمعصم اليد ، وتمكنوا من أسره واقتيـــاده الى القائد السلجوقى اريسغى (للتفاصيل انظر :

Bryennios, ch. XI, p. 100; Attaliate, p. 140, Skylitzès Continué, p. 140; Zonoras, pp. 694-695.

وتضيف المصادر البيزنطية أن أعدادا لا حصر لهـــا من الجيش البيزنطى راحت ضحية هذه المعركة ، وان عظام الموتى حركت عواطف ومشاعر العاهل البيزنطى للثأر من تلك الهزيمة فى العام التالى أى فى عام ١٠٧١م (٤٦٣هـ) (انظر :

Attaliate, pp. 147-148; Skylitzès Continué, p. 144.

ومما يذكر أن اريسغى كان قد أعلن عصيانه على الب ارسلان ، لذا نجح مانويل فى اقناعه بسهولة للانضمام الى صفوف الجيش البيزنطى . واستقبل رومانوس القائدين استقبالا حافلا وأنعم عليهما بأثمن وأفخر هداياه . وفى ربيع عام ١٠٧١م ، زحف العاهل البيزنطى على رأس جيش جرار لقتال السلاجقة مصطحبا معه اريسغى . لكن بمجرد وصول الجيش البيزنطى الى بثينـــــايا Bithynie ، توفى مانويل . فحزن عليه رومانوس حزنا بالغا ، لأنه كان يكن لقائده كل حبه وتقدير . كذلك تمنى اريسغى

ان يموت معه على حد قول برينيوس . انظر :

Bryennios, ch. XI-XII, pp. 100-104.

(٣٦) بمجـــرد تولى رومانوس الرابع (١٠٦٨ — ١٠٧١م) عـرش الامبراطورية البيزنطية ، نظم حملات لاسترداد ما سلخه الاتراك السلاجقة من جسد الرجل المريض . فسار على رأس جيشه من سيواس الى كولونيا وليكاندوس وقيصرية . وواصل زحفه الى ان وصل الى مرعش (التفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 105, 110, 118, 121, 125 cf. Laurent. Byzance et les Turcs Seldjoucides, p. 25.

وفى نهاية عام ١٠٦٨م ، تمكن من الاستيلاء على منبج الواقعـة على الضفة الغربية لنهر الفرات ونصب حامية بيزنطيـة على ارتاج شرقى انطاكية (انظر :

(Michel le Syrien, Chronique, III, p. 168.

ثم عاد الى قبدوقيا حيث نجح فى طرد السلاجقة من قيصرية وذلك سنة ١٠٦٩م/٤٦٢هـ) وتسلل الى غرب ارمينيـة . لكن قائده فيلاريتوس الذى كان يحكم ملطية ، منى بهزيمة على يد الاتراك السلاجقة بالقرب من نفس هذه المدينة . وفى غضون ذلك تمكنت بعض الكتائب السلجوقية من نهب قونية وفشـل رومانوس فى مطاردتهم . وفى سنة ١٠٧٠م (٤٦٣هـ) شق القائد السلجوقى اريسغى — زوج شقيقة الب ارسلان — عصا الطاعة وانضم الى صفوف الجيش البيزنطى . الا أن العاهل السلجوقى طالب بتسليمه الخائن أريسغى ، فرفض رومانوس مطلبه ، فكان ذلك

من بين أسباب اندلاع حرب ملاذكرد . انظر ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ــ مخطــــوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ح ، ورقات ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ . انظــر يضـــا حاشية رقم ٣٩ . وللتفاصيل عن حملات رومانوس السابق ذكرها انظر :

Zonoras, pp. 690-695; Scylitzès, Synopsis Historiarum, new ed. I, Thurn, Berlin, 1973, pp. 670-676; 681-684. cf. Cahen, Première Pénétration Turque en Asie Mineure, London, 1974, pp. 26-27; Charanis, The Byzantine Empire in the eleventh Century, dans A History of the Crusades, ed. Setton, London, 1969, p. 199; Le Bas, L'Asie Mineure depuis les Temps les plus anciens jusqu'à la Bataille d'Ancyre en 1402, Paris, 1973, p. 512; Grousset, Histoire de l'Arménie, Paris, 1973, pp. 623-624; Schlumberger, L'Epopée Byzantine à la fin du dixieme siecle, Paris, 1905, III, pp. 600-610.

انظــر ايضـــا ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ــ حيـــــدر اباد الركن ١٣٥٨هـ ، جـ٨ ، ص٢٥٦ ، الذهبى : دول الاسلام ــ القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م جـ١ ، ص٢٧٠ ،

(٣٧) ذكر كل من اطالياطس والمؤرخ المكـــل لسكيلتزز وزونوراس أن الامبراطور البيزنطى غادر القسطنطينية فى يوم الاحد الثالث عشر من مارس سنة ١٠٧١م (٤٦٣هـ) ، وتوجه الى قصر هيرا Hiera (انظر :

Attaliate, p. 142; Skylitzès Continué, p. 142.

وعن قصر هيرا Hiera انظر :

Janin, Constantinople Byzantine. Développement

urbain et reportoire topographique, Paris, 1964. pp. 498-499.

ومن هيرا توجه العاهل البيزنطى الى هلينوبولس Helenopolis المطلة على خليج نيقوميديا . انظر :

Attaliate, p. 144; Skylitzès Continué, p. 142.

(٣٨) افرد برينيوس ثلاثة فصول من كتابه الاول للحديث عن الاتراك السلاجقة قبل احتكاكهم الحربى بالبيزنطيين . اذ خصص الفصل السابع للحديث عن اصل السلاجقة وبداية العلاقات بين محمود الغزنوى وطغرل بك (انظر :

Bryennios, I, ch. VII, pp. 88-91.

أما الفصل الثامن فقد خصصه للحديث عن حملة محمود الغزنوى التى خصصها لقتال طغرل بك (انظر :

Bryennios, livre I, ch, VIII, pp. 92-93

واخيرا ، افرد برينيوس فصله التاسع للحديث عن انتصار طغرل بك على محمود الغزنوى (انظر :

Bryennios, livre I, ch, IX, pp. 92-95.

والجدير بالملاحظة ان مؤرخنا انقض على مصنف سكيلتزز انقضاضا ونقل عنه الفصول من السابع الى العاشر (قارن Bryennios, livre I, ch. VII-X, pp.88-99. مع

Georgius Cedrenus Ioannis Scylitzae ope Supletus et emendatus, Ed. I Bekker, II, C.S.H.B., Bonn, 1839, pp. 566-571.

ويؤخذ على برينيوس انه خلط بين الغز وقبيلة تركية أخرى كانت قد نزحت نحو سهول جنوب روسيا (انظر :

Bryennios, I, ch. VII, p. 88.

وقد اعترف برينيوس بتفوق الاتراك السلاجقة فى فنـــون الاستراتيجية والتكتيكات الحربية اذ اظهـــر ذلك فى حديثه عن هجماتهم على الفاسبوراكان اذ قال «كان لقاء بين جنود عديمى الخبرة الحربية وجنود سلاجقة خبراء فى فنون القتال (انظـــر Bryennios, I, ch. X, p. 98.

ولم ينفرد برينيوس بتلك الشهادة اذ ان مؤرخى الارمن شهدوا لهم بذلك . فاريستاكيس اللاستيفرتى Aristakès de Lastivert المؤرخ الارمنى المعـــاصر والشـــاهد العيـــان لغزوات الاتراك السلاجقة لارمينية والمعاصر لمعركة ملاذكرد ، لم يجد من جانبه غضاضة فى امتـــداح اعداء بلاده والثناء عليهم . فنراه يحدثنا عن قوة جيش السلاجقة ، وحسن نظامه ، ودقة تدريبه ، وتفوقه على الارمن والبيزنطيين فى فنون الحرب والقتال ففى هذا الصدد يقـــول : « زحف جيش جرار (المقصــــود الاتراك السلاجقة) بخيوله ، مندفعا كالصقور بسنابكه الصلبة كالاحجار ، واقواسه المقوطة ، وسهامه الحادة والمسمومة . فالجنود مشدودة بقوة فى احزمتهم ، ولم يكن بالمستطاع تحطيم سيور سنابكهم . فلقد تسلل الاتراك السلاجقة الى مقاطعة الفاسبوراكان ، وانقضوا على الارمن كالذئاب الجياع » (أنظر :

Aristakès, tr. Canard, pp. 57-58.

كذلك شهد لهم بتلك المهارة الحربية كل من المؤرخ المكمل لحولية توماس اردزروني ومتى الرهاوى (انظر :

Thomas Ardzrouni, Histoire des Ardzrouni, tr, Brosset, St., Pétersbourg, 1874-1876, III, ch. XLI, P. 249; Matthieu d'Edesse, Chronique, tr. Dulaurier, Paris, 1858, ch. XXXVIII, pp. 41-42.

ويرجع أصل الاتراك السلاجقة الى قبائل الغز التركية (أحمد بن فضلان رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة الى بلاد الخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ — دمشق ١٩٥٩ ص١٢٢) ، وهم من البدو الذين كانوا يسكنون اقصى اقليم تركستان ، ثم هاجروا ديارهم فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، وحاولوا الاستقرار فى اقليمى ما وراء النهر وخراسان ، وقد أطلق عليهم اسم « السلاجقة » نسبة الى قائدهم سلجوق بن تقاق الذى نجح فى توحيد شملهم تحت زعامته للتفاصيل المطولة أنظر : سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان — مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٢٧٦ح — جـ٨ ، ورقة ٣٥٣ وما بعدها ، ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ١٥٦٦ تاريخ ، جـ٣ ، ورقة ٢٨٦ أ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ — بيروت ١٩٦٥ جـ٩ ، ص١٧٥ وما بعدها ، خواندمير : دستور الوزراء — ترجمة حربى أمين — القاهرة ١٩٨٠ — ص٢٤٣ وما بعدها ، البيهقى : تاريخ مسعودى المعروف بتاريخ البيهقى — ترجمة يحيى الخشاب — طهران ١٣١٩هـ ، ص٤٣٤ وما بعدها ، حميد الله مستوفى قزوينى : تاريخ كزيدة — بمباى ١٣٧٣هـ ص٥٢٨ وما بعدها ، الراوندى : راحة الصدور وآية السرور — ليدن ١٩٢١ ، ص٨٦ وما بعدها ، البندارى الاصفهانى : كتاب تواريخ دولة آل سلجوق — مصر ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ص٦ ، وما بعدها ، الحسينى زبدة التواريخ ، اخبار الامراء والملوك السلجوقية — تصحيح محمد اقبال — لاهور ١٩٣٣ ص٣ وما بعدها ، ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم — حيدر آباد الدكن ١٣٥٨هـ ، جـ٨ ص١٦٣ وما بعدها ،

قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس : إدارة الامبراطورية البيزنطية — ترجمة محمود سعيد عمران — بيروت ١٩٨٠ — ص١٣٩ — ١٤٠ . انظر ايضا عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق — القاهرة ١٩٧٠ — ص١٦ وما بعدها ، السيد الباز العريني : المغول — بيروت ١٩٨١ — ص٢٩ وما بعدها ، حسين امين : العراق فى العصر السلجوقى — بغداد ١٩٦٥ ، ص٤٦ وما بعدها .

(٣٩) خريسوسكولوس Chrysoskoulos هو الاسم اليونانى للقائد السلجوقى « اريسغى » ، اذ قال عنه ابن الجوزى « كان اريسغى زوج اخت السلطان من جماعة الناوكية ، وكان السلطان يطلبهم ، فساروا منحازين الى بلاد الروم خائفين من السلطان » (أنظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ج — ورقة ٣٦٦) . وفى موضع آخر يقول سبط الجوزى : « ان ابن اريسغى هرب من السلطان ومعه طائفة من الناوكية يريد القسطنطينية » (انظر سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ج٩ ، ورقة ٣٧٠) . وعندما علم السلطان السلجوقى بخيانة صهره : « بعث ميخائيل لقتاله ظنا منه أنه عدو ، فلما قرب منه ميخائيل ، أرسل اليه ما جئت لاحاربكم وانما جئت ملتجأ اليكم من السلطان . فقال كذبت ، فقال لو كان هذا صحيحا لما اخربت بلادنا ونهبت وقتلت . فحلف له ، ولم يصدقه ، واقتتلوا فنصر اريسغى على الروم ، فقتل منهم خلقا عظيما واسر وقطع عليه سبعين قنطارا ذهبا » (انظر سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ج٩ ، ورقة ٣٧١ . انظر ايضا :
Cahen, La Première Pénétration Turque en Asie-Mineure, dans Turcobyzantina et Oriens Christianus,

London, 1974, fasc. I, p. 27, n. 3; Idem, La Campagne de Mantzikert d'après les sources Musulmanes, dans Turcobyzantina, fasc. II, p. 625; Idem, Pre-Ottoman Turkey. A General Survey of the Material and Spiritual Culture and History, London, 1968, pp. 22, 71, 75.

وقد اورد كل من اطالياطس والمؤرخ المكمـل لحولية سكيليتزز وزونوراس أن الامبراطور البيزنطى رومانوس انعم على خريسو سكولوس بلقب « بروودر » proèdre (أنظر

Attaliate, pp. 141-142; Skylitzès Continué, p. 141 Zonoras, p. 695

وللتفاصيل عن لقب « بروودر » أنظر مقال شارل ديل فى مجموعة البحوث المقدمة تكريما لشلمبرجيه

Diehl, Le Titre de Proèdre, Mélanges Schlumberger, t. I, p. 105 et suiv.

كذلك وصفه مؤرخو الروم بقولهم انه كان شابا قصير القـامة ، قبيح الوجه . ويذكر اطالياطس ان الامبراطور البيزنطى استقبل خريسوسكولوس فى أول الامر استقبالا فاترا بعـد أن انتظـر القائد السلجوقى أياما عديدة للفوز بهذا الاستقبال (انظـر : Attaliate, p. 142. وقد انتقم السلطان السلجوقى الب أرسلان من خيـانة اريسغى بأن قام قائده الافشين بتخـريب انطاليا Anatolie حتى خون Chones (أنظر سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ورقة ٣٧١ . انظر أيضا :

Cahen, Pénétration, pp. 27-28;

Idem, Mantzikert, pp. 626-627; Idem, Pre-Ottoman, pp. 71-72.

أنظر كذلك حاشية رقم ٣٥) ويسميه متى الرهاوى «جويدريدرج» Guedridj (انظر :

Matthieu d'Edesse, ch. CI, p. 162.

(٤٠) اكتفت المصادر البيزنطية بالقول ان رومانوس قاد جيشا جرارا على درجة كبيرة من الاهمية . أما المصادر الاسلامية ، فقد زودتنا بأرقام خيالية مبالغ فيها عن تعداد الجيش البيزنطي . فسبط بن الجوزي (مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، جـ٩ ، ورقة ٢٧٣) قدر عدد جيش رومانوس بأربعمائة ألف مقاتل ، اذ يقول : « كان ملك الروم فى مائة ألف مقاتل ، ومائة الف نقاب ، ومائة الف جرخى ، ومائة الف صانع ، وأربعمائة عجلة يجرها ثمانمائة جاموس عليها نعال ومسامير ، وألفا عجلة عليها السلاح والمجانيق وآلة الزحف . وكان فى عسكره خمسة آلاف بطريق ومعه منجنيق عده ألف رجل ومائتا رجل ، ووزن حجره عشرة (فى الاصل عشر قناطير) وكل حلقة منه مائتا رطل بالشامى ، وكان فى خزانته الف الف دينار ، ومائة الف ثوب ابريسم ، ومن السروج والذهب والمناطق بمثل ذلك » (وقد أخطأت الدكتورة اسمت غنيم فى مقال لها بعنوان « معركة منزيكرت فى ضوء وثائق بسللوس » ، ص٢١٧ حين قالت ان ابن الجوزى قدر الجيش البيزنطى بمائة الف مقاتل) . والحقيقة أن رواية سبط بن الجوزى فيها الكثير من المبالغة العددية ، ولكنها فى نفس الوقت تشير الى ضخامة الحشود والاستعدادات التى أعدها العاهل البيزنطى لسحق السلطان السلجوقى وجيشه فى معركة فاصلة . هذا عن رواية سبط بن الجوزى أما ابن العديم ، فقد قدر عدد جند الروم بثلاثمائة الف او ما يزيدون ، اذ يقول « والروم فى زهاء ثلاثمائة الف او ما يزيدون ، ما بين فارس وراجل من جموع مختلفة ، من الروم ، والروس ، والخزر ، واللان ، والغز ، والقفجق ، والكرج ، والابخاز ، والفرنج ، والارمن . وفيهم خمسة آلاف جرخى ، وفيهم ثلاثون الف مقدم بين دوقس وقومس وبطريق » . (انظر

زبدة الحلب فى تاريخ حلب — تحقيق سامى الدهان — بيروت ١٩٥٤ ، جـ٢ ، ص٢٤) واذا انتقلنا الى رواية ابن الاثير ، فيذكر ان ملك الروم كان « فى مائتى ألف من الروم والفرنج والغز والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد » (انظر الكامل فى التاريخ — بيروت ١٩٦٨ — جـ٨ ، ص١٠٩) . وقد تشابهت الروايات الاسلامية مع رواية سبط بن الجوزى ، بل ان ابن كثير ذكر صراحة أنه نقل عنه رغم أنه خفض اعداد الجيش البيزنطى الى ثلثمائة الف مقاتل . (انظر ابن كثير : البداية والنهاية — بيروت ١٩٦٦ — جـ١٢ ، ص٩٩ — ١٠٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١ ، العينى : عقد الجمان — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ، احداث سنة ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٤ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر — المطبعة الحسينية القاهرة — جـ٢ ، ص١٨٦ — ١٨٧ ، ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر — القاهرة ١٢٨٥هـ — جـ١ ، ص٥٦٣ ، ابن الازرق الفارقى : تاريخ الفارقى — تحقيق بدوى عبد اللطيف عوض — بيروت ١٩٧٤ ، ص١٨٦ — ١٩٠ ، ابن النظام الحسينى : العراضة فى الحكاية السلجوقية — تحقيق عبد المنعم محمد حسنين — بغداد ١٩٧٩ ، ص٤٧). اما المؤرخ الارمنى المعاصر اريستاكيس اللاستيفرتى ، فقد اكتفى بالقول ان العاهل البيزنطى بذل قصارى جهده لحشد كتائب لا حصر لها . (انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 125.

والواضح أن ثمة مغالاة فى تقدير اعداد وعتاد الجيش البيزنطى ، ومع ذلك ، فلاشك أن هذه الحملة فاقت فى عدد جنودها الحملات التى سبق أن قادها رومانوس فى آسيا الصغرى ، بل حملات

كل أباطرة الروم كما ذكر ذلك صراحة نقفور برينيوس . والجدير بالملاحظة أن الجيش البيزنطي لم يكن يزيد أعلى ما بلغه من عدد على مائة وعشرين الف مقاتل . منها ما يقارب السبعين الفا من ألوية الثغور الشرقية ، والباقى من الألوية الغربية وفرق الجيش المركزى (انظر :

Bury, Eastern Roman Empire, p. 226.

على اية حال ، كان ينقص الجيش البيزنطى المشكل من أقوام عديدة ، التدريب الجيد ، والتنظيم الحسن ، ووحدة الصف والكلمة ، وانعدام الغدر والخيانة . وزاد الطين بلة ، عدم حصول الجند على رواتبهم ، فأرهقهم الفقر . كل هذا جعل الجيش البيزنطى رغم عدده الخيالى ، منخور القوى ، غير قادر على الاستمرار فى قتال السلاجقة القليلى العدد والذين كانوا يعتمدون على أخيلتهم السريعة الحركة وعلى مهاراتهم فى فنون الاستراتيجية والتكتيكات الحربية ، والذين كانوا يتصفون بشجاعة فائقة شهد بها كل المؤرخين المعاصرين . هذا عن اختلاف آراء المؤرخين المسلمين حول تعداد الجيش البيزنطى وتقييم سريع للقوتين المتصارعتين . واذا انتقلنا الى تعداد الجيش السلجوقى، نلاحظ ايضا تباين الاراء . فسبط بن الجوزى قدر الجيش السلجوقى بأربعة عشر الف جندى ، وهو ما نميل الى ترجيحه . اذ قال « وكان قد اجتمع عليه عشرة آلاف من الاكراد وانما اعتماده بعد االله تعالي علي الاربعة الف الذين كناوا معه » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقة ٣٧٣) . أما ابن الاثير ، فيذكر ان الب ارسلان تمكن من جمع خمسة عشر الف فارس (انظر الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩) ، كذلك كان رأى ابن العديم (انظر زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٦ — ٢٧) . أما ابن الجوزى

(المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١) وابن كثير (البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١) والعينى (عقد الجمان ، احداث سنة ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٥) فقد قدروا جيش الب ارسلان بعشرين الف فارس . واخيرا يأتى ابن النظام الحسينى (العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص٤٧) الذى خفض عدده الى اثنى عشر الف فارس

(٤١) كانت « نيقية » من اقوى وأهم مدن آسيا الصغرى ، وتقع على شواطىء بحيرة نيقية وكانت تلك البحيرة تصلها ببحر مرمرة . عنها انظر ياقوت : معجم البلدان — نشر دار صادر بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٧ — جـ٥ ، ص٣٣٣ ، ابن حوقل : صورة الارض — بيروت ١٩٧٩ — ص١٧٧ . وأيضا فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية — القاهرة ١٩٦٦ — جـ١ ، ص٢٠١ — ٢٠٣ .

(٤٢) ذكرت آن كومنين ، زوجة مؤرخنا نقفور برينيوس ، فى كتابها الالكسياد ، ان والدة الكسيس كومنين حثته على الذهاب للقاء الامبراطور البيزنطى رومانوس للانخراط فى صفوف جيشه . فمثل الكسيس أمام العاهل البيزنطى بالقرب من دوريليوم Dorylée لكن رومانوس أجبره على العودة الى والدته وقد أورد نقفور برينيوس نفس هذه المعلومات . انظر :

Nicephore Bryennios, ch. XII, p. 104;

وقارنه مع

Anne Comène, Alexiade. texte traduit par B. Leib, Paris, 1937-1943-1945, t. I, p. 9.

وكان الكسيس — والد آن كومنين يبلغ من العمر آنذاك اربعة عشر عاما انظر :

Anne Comène, op. Cit., p. 9.

(٤٣) غادر رومانوس دوريليوم ، وواصل زحفه الى أن وصل الى كلتزين Keltzène (للتفاصيل عن كلتزين انظر :

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando, II, Commentary, p. 164.

كان ذلك فى شهر يوليو من عام ١٠٧١م (٤٦٣هـ) (انظر :

Attaliate, p. 145; Skylitzès Continué, p. 143.

ولقد ذكر ميخائيل السريانى فى حوليته أن الامبراطور البيزنطى قال بتكبر وغطرسة انه سيهزم الاتراك السلاجقة ، وسيقبض على سلطانهم ويحرقه حرقا . فى حين أن السلطان السلجوقى تعهد فى حالة انتصاره وقبضه عى رومانوس أن يعامله بكرم ورحمة ، ويعيده بسلام وامان الى بلاده انظر :

Michel le Syrien, Chronique, tr. Chabot, Paris, 1899, III, p. 169.

(٤٤) Nicephore Bryennios, tr. Gautier, livre I, ch, XIII, pp. 104-106; tr, Henri Grégoire, livre I, ch. XIII. pp. 487-488.

(٤٥) بعد أن عبر العاهل البيزنطى نهر هاليس Halys ، توجه الى قيصرية Cesarée ثم اقام معسكره فى مكان يسمى كريا بيجيه Krya Pègè حيث قام بقمع ثورة مفاجئة قام بها النمتزى (الالمان) Nemitzi (Allemand) (للتفاصيل انظر :

Attaliate, p. 146; Skylitzès Continué, p. 143, Zonoras, p. 606.

وكان اقليم قبدوقيا منذ عهد الرومان أفضل اقليم لرعى الخيل ، ووجدت به مراع لتربية الخيل الخاصة بالامبراطور البيزنطى . انظر وسام عبد العزيز فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ــ الاسكندرية ١٩٨٢ ــ جـ١ ، ص٣٣٩ حاشية ٢٩ .

(٤٦) أطلق مؤرخو الارمن على الاتراك السلاجقة أسماء عديدة منهـــا « ثيلمنيس » Théloumnis و « ديلميت » Dilemites ، و « ايلميين » Tatars و « سكيث » Scythes و « تتاريسكيث » Elyméens ، « وامة الوسط » (الميدى) Scythes la nation du Midi

(انظر :

Matthieu d'Edesse, pp. 9. 93; Thomas Ardzrouni, III, ch, XII, P. 249; Aristakés de Lastivert, tr. Canard, ch. XXV, pp. 124-132.

ويرى مؤرخو الارمن أن غـــزوات الاتراك السلاجقـــة من عداد المصائب الكبرى التى لحقت بأرمينية والامبراطورية البيزنطية . ونستشف من رواياتهم حقدهم الذى لا حدود له بالنسبة للاعداء المستعبدين فالسلاجقة من وجهة نظرهم « يتشابهون بالفئات الجائعة الشرهة » (انظر Aristakès, op. cit., p. 58. فهم قتلة ومدمرون ومن مرتكبى أعمال العنف والاجرام والاسوأ من هذا كله ، أنهم ينتهكون الحرمات والمقدسات (انظر :

Aristakès, op. cit., 61; Matthieu d'Edesse, pp. 98 et suiv.; Thomas Ardzrouni, pp. 249 et suiv.

وكان الموضوع الرئيسى فى مصنف اريستاكيس هو غزوات الاتراك السلاجقة ، فبتأثير هذه الاحداث المعاصر والشاهد عيان لهـــا ، كتب اريستاكيس تاريخه ، ذلك لان مؤرخنـــا يسرد « احداث المصائب التى كان سببها الشعوب الاجنبية التى تحيطنـــا « أى تحيط وطنه ارمينية » وقد خصص اريستاكيس الفصل الخامس والعشرين من مصنفه للحديث عن موقعة ملاذكرد ، وزودنا فيه بمادة تاريخية على درجة كبيرة من الاهمية (انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, pp. 124-132;

Arisdagues, tr. Prud'homme, ch. XXV, pp. 141-147.

والملاحظ كذلك أن المؤرخين البيزنطيين يسمون الاتراك السلاجقة « أوزز » Ouzes (انظر على سبيل المثال :

Skylitzès Continué, Tsolakis, pp. 125 et suiv.

ولقد واصل السلاجقة توغلهم واجتياحهم المستمر لاراضى الامبراطورية البيزنطية فاقتطعوا من أراضيها السهول والهضاب والمناطق المكشوفة ، بل ومدنا هامة كأرزن سنة ١٠٤٨م (٤٤٠هـ) وفرسيا سنة ١٠٥٤م (٤٤٦هـ) ، وملطية سنة ١٠٥٧م (٤٤٩هـ) وسيواس سنة ١٠٥٩م (٤٥١هـ) وآنى سنة ١٠٦٤م (٤٥٦هـ) ، وقيصرية سنة ١٠٦٧م (٤٥٩هـ) ، وقونية وعمورية سنة ١٠٦٨م (٤٦٠هـ) وهوناس — سنة ١٠٦٩م (٤٦١هـ) (للتفاصيل المطولة انظر :

Matthieu d'Edesse, pp, 83, 98-102, 107-108, III, 125-126; Michel le Syrien, III, 158-159, 166; Aristakès, ch. 13, 16, 17, 21. Cf. Cahen, Première Pénétration Turque, pp. 12 et suiv.

وكان حادث خيانة اريسغى وامتناع رومانوس عن تسليمه ، بمثابة اهانة شخصية للسلطان السلجوقى الب ارسلان . لذا ، فى نفس هذا العام أى فى عام ١٠٧٠م (٤٦٢هـ) قام بغزو أرمينية البيزنطية ، وتمكن من الاستيلاء على ملاذكرد . ويذكر متى الرهاوى فى هذا الصدد أن البيزنطيين تركوا المدينة بلا حامية تدافع عنها ، وتدرأ عنها الاخطار الجسيمة المحدقة بها (انظر :

Matthieu d'Edesse, CII, p. 163.

كذلك تمكن العاهل السلجوقى من الاستيلاء على أرجيش الواقعة على شواطىء بحيرة فان ، ثم زحف على الرها ، فاستولى وهو فى

طريقه اليها على قلعة تلخوم Thelkhoum (Toulkhoum) فى انجلين Ingilène وقلعتى تلثوفراف Thelthovrav واريد زاثيل Arioudzathil (انظر :

Matthieu d'Edesse, CII, p. 163. Cf. Honigman, Die Ostgrenze des Byz. Reiches von 363 bis 1071, Bruxelles, 1935, p. 142.

ثم قام بمهاجمة الرها بعد ان انضم اليه الامير الكردى ابا الاسور اميرد وين كان ذلك فى العاشر من مارس سنة ١٠٧١م (٤٦٣هـ) (للتفاصيل انظر :

Matthieu d'Edesse, ch. CII, pp. 164-165.

وقد قام حاكم المدينـــة المدعو باسيل Basile بالاستماتة فى الدفاع عنها وبذلك فشلت اقوى اسلحة الحصار السلجوقية الاكثر تقدما فى اسقاطها . وبعد حصار دام خمسين يوما ، يأس السلطان السلجوقى من اسقاطها ، فرحل عنها بعد ان قام باتلاف حدائقها ومزارعها ومحاصيلها وتدمير ضواحيها . (للتفاصيل انظـــر :
Matthieu d'Edesse, ch. CII, p. 165.

(٤٧) اخطـــر الب ارسلان باستعدادات الامبراطور البيزنطى اثنـــاء انشغاله بحصار حلب (للتفاصيل عن حصــــاره لحلب انظـــر الدواداري : الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية ــ تحقيق صلاح المنجد وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدر وجامع الغرر ــ القاهرة ١٩٦١ ، ص٣٨٧ وما بعدها ، ابن العـــديم : زبدة الحلب ، ج٢ ص١٦ وما بعـــدها ، ابن القـــلانسى : ذيل تاريخ دمشق ــ بيروت ١٩٠٨ ــ ص٩٨ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل فى التـــاريخ ــ بيروت ١٩٦٥ ــ ج١٠ ، ص٢٤ وما بعـــدها ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ــ مطبعة

دار الكتب المصرية جـ٥ ، ص٧٣ وما بعدها ، القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ـــ القاهرة ١٩٤٦م ـــ جـ٤ ، ص٢٧٠ وما بعدها ، ابن ميسر : تاريخ مصر القـــاهرة ١٩١٩ ـــ ص١٩ وما بعدها ، ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ـــ بيروت ١٩٠٩ ، ص٦٤ (وما بعدها) . وكان ذلك فى شهر مايو من عام ١٠٧١م (٤٦٣هـ) . وفى هذا الصدد يقول ابن الجوزى : «وردت رسل الروم برد منبج وارجيش ومناذكرد اليه ويحمل اليه الهدنة ، وجاءه خبر الافشين وعوده سالما وضجر السلطان من المقام فى حلب ، فكر راجعا ، فقطع الغزاة وهلك اكثر الدواب والجمال وكان رجوعه شبه الهارب ، ولم يلتفت الى ما ذهب من الارواح والدواب وعاد رسول الروم مستبشرا الى صاحبه،فقوى ذلك عزم ملك الروم على اتباعه وحربه » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقة ٣٧٠) . ومما يذكر أن متى الرهاوى اخطأ وذكر أن الب ارسلان هو شقيق طغرل بك (انظر :

Matthieu d'Edesse, ch, LXXXVIII, p. 120.

وصحة ذلك ان الب ارسلان هو ابن شقيق طغرل بك ، اذ يقول ابن العديم فى مخطوطه بغية الطلب فى تاريخ حلب «هو الب ارسلان ابن جغرى بن سلجوق بن تقاق بن سلجوق ، وقيل سلجق . . . استقر فى السلطنة حين توفى عمه السلطان طغرل بك فى الثامن من شهر رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة وكان ولى عمه ، لان عمه لم يكن له نسل ، فملك الب ارسلان بعده» . (أنظـــر بغية الطلب ـــ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ ـــ المجلد الثالث ، ورقة ٢٧٩ ـ ب ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ـــ القاهرة ١٢٧٥هـ ـــ جـ٢ ، ص٤٦ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٧٩ ، ابن النظام الحسينى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ،

ص٤٥ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جه ، ص٧٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١٠٧) .

(٤٨) المقصود هنا « وسطان » وتقع وسطان على الشاطىء الجنوبى لبحيرة فان **Van** في مواجهة جزيرة اجثمار **Agthamar** مقر امراء الفاسبوراكان . انظر ابن حوقل : صورة الارض ، ص٢٨٧ وص٢٩٥ وايضا **Honigman, Ostgrenze, p. 209.**

(٤٩) اطلق قديما على « الفاسبوراكان » اسم « ميديا » **«Médie»** وقد ورد ذكرها على هذا الشكل في مصنف زونوراس (انظر **Zonoras, p. 636.**

والملاحظ ان المصادر البيزنطية تطلق عادة لفظ « اسبوراكان » **«Aspourakan»** على الفاسبوراكان . ووردت على شكل « بسفرجان » في المصادر الاسلامية ، بضم الفاء ، وسكون الراء ، وجيم والف ونون : ويعرفها ياقوت في معجمه بأنها « كورة بأرض اران ومدينتها النشوى ، وهى « نقجوان » . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٢٢ ، البغدادى مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع — تحقيق على محمد البجاوى — القاهرة ١٩٥٤ — ج١ ، ص١٩٧ . ومما يذكر ان الدكتور عمران ترجمها « باسباراكا » **«Basparakanite»** دون ان يزودنا بتفاصيل موقعها . انظر : ادارة الامبراطورية البيزنطية ، ص١٦٨ . علما بأن النص المترجم يتعلق بجاجيك اردزرونى (٩٠٨ — ٩٣٦م) **Gagik Ardzrouni** حاكم الفاسبوراكان . انظر :

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, trans. R.J.H. Jenkins, Budapest, 1949, Vol. I, ch. 45, p. 209; Vol. II, Commentary, ch. 45, p. 175;

Arisdagues de Lasdiverd, Histoire d'Arménie, tr. Prud'-homme, p. 31, n. 4. Cf. Laurent, L'arménie entre Byzance et l'Islam. Nouvelle edition par Marius Canard, Lisbonne, 1980, p. 42.

(٥٠) « الماجستروس » «Magistros» من الوظائف الهامة فى البلاط البيزنطى ، وتتساوى مع وظيفة مستشار الدولة فى بداية الامر ، وجد ماجستروس واحد ، ولكن مع مرور الزمن وصل عددهم الى اربعة عشر . كذلك أعطى هذا اللقب الى قواد الجيش وخاصة قادة سلاح الفرسان والمشاة . وكان الماجستروس فى مرتبة تفوق مرتبة القريلاط . للتفاصيل انظر : Arisdagues, p. 10, n. 3; Aristakès, p. 6, n. 3. Cf. Bréhier, Les Institutions de l'Empire Byzantin, Paris, 1949, pp. 101-102.

(٥١) فى جروسيه جوزيف تراخانيوتس Trakhaniotès وصحتها ترخانيوتس Tarchaniotès (انظر H. de l'arménie, p. 627.

وجوزيف ترخانيوتس كان من أصل كرجى ، وهو والد كتاكالون Katakalon وايلين ترخانيوتس . (للتفاصيل عن هذه الاسرة انظر :

Lemerle, Actes de Kutlumus, Paris, 1945, p. 145, Gautier, Etude Prosonographique, R.E.B., 29, 1971, pp. 254-255; Polemis, The Doukai, Londres, 1968, p. 183.

وقد تخلى القائد العسكرى جوزيف ترخانيوتس عن مناصرة العاهل البيزنطى رومانوس عقب هزيمة ملاذكرد سنة ١٠٧١م

(٤٦٣هـ) ، وشغل منصب حاكم انطــــاكية منــذ عام ١٠٧٢ (٤٦٥هـ) حتى عام ١٠٧٤م (٤٦٧هـ) . انظر :

Laurent, La Chronologie des Gouverneurs d'Antioche sous la seconde domination byzantine, Mélanges de l'Université Saint-Joseph, 38/10, 1962, p. 249.

أما ابنه كتاكالون ، فقد شغل منصب حاكم ادرنة حتى أواخر عام ١٠٧٧م (٤٧٠هـ) ، وزوج آنذاك شــقيقته ايلــين Hélene بابن الثائر نقفور برينيوس (أنظر :

Nicephore Bryennios, liv, III, ch. VII, p. 224.

كذلك نجح كتاكالاون فى رد هجمات الكومان Commans عن ادرنة فى أوائل عام ١٠٩٥م (٤٨٨هـ) (انظر :

Anne Commène, Alexiade, II, p. 194.

(٥٣) هو جد مؤرخنا.ووظيفته دوق الغرب كانت تعادل وظيفة دمستق شولز الغرب

Scholes d'Occident

Domestioue des Guilland, Recherches sur les Institutions byzantines Berlin, 1967, t. I, p. 430.

Nicephore Bryennies, tr. Gautier, I, ch. XIII, p. 104; tr, Henri Grégoire, I, ch. XIII, pp. 487-488.

(٥٤) « ثيودوسيوبوليس » «Théodosioupolis» فى المصادر البيزنطية ، و « كارين » «Karin» فى المصــادر الارمنيــة ، وقاليقلا فى المصادر الاسلامية . يقول عنها البغدادى : « قاليقلا بأرمينيــة العظمى ، من نواحى خلاط ، ثم من منازجرد من نواحى أرمينية الرابعة » (انظر : مراصد الاطلاع ، جـ٣ ، ص١٠٥٩) . ولا تبعد

الا قليلا عن ارزن الروم . وتعتبر اهم الحصون ، ومن اهم المراكز التجارية اذ كانت تحمل اليها متاجر بلاد فارس والهند وسائر ما يرد من آسيا والامبراطورية البيزنطية برسم طرابيزون . وتقع على أطراف بلاد الارمن (انظر :

Schlumberger. L'Epopée Byzantine, II. pp. 470-480; Manandian, The trade and Cities of Arménia in relation to the Ancient World, tr. N. Garsoian, 1965, p. 145.

وكانت منذ القدم تسمى « كارين » ، وقام الامبراطور البيزنطى ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ — ٤٥٠م) باعادة تشييدها وتعميرها وتحصينها . كما قام بتغيير اسمها الى ثيودوسيوبوليس نسبة الى اسمه ، وكانت منذ ذلك الحين المركز العسكرى ، والادارى لارمينية البيزنطية ، والحصن البيزنطى المنيع للاقاليم القوقازية عن ذلك انظر :

Aristakès, tr. Ganard, p. 11 et n. 3; Matthieu d'Edesse ch. LXXIII, p. 402, n. 2; ch. LXXXVII, p. 409, n. 9. Cf. Laurent, L'Arménie, p. 44, Idem, Byzance et les Turcs Seldjoucides dans l'Asis Occidentale jusqu'en 1081, Nancy-Paris, 1919, pp. 22, 31 et n. 8.

وقد زودنا ابن الاثير ، نقلا عن البلاذرى ، بتفسير طريف عن سبب تسميتها قاليقلا ، اذ قال « انما سميت قاليقلا ، لأن امراة بطريق ارمينياقس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمتها قالى قلة ، وتعنى احسان قالى ، فعربها العرب فقالت قاليقلا » (انظر الكامل فى التاريخ جـ٣ ، ص٨٤ ، وقارنه مع البلاذرى : فتوح البلدان — تحقيق صلاح المنجد — دار النهضة العربية القاهرة (بدون تاريخ — جـ١ ، ص٢٣٤) ويذكر كل من اطاليطس والمؤرخ

المكمل لسكيلتزز ان الاهتمام بتحصين هذه المدينة أصابه الكثير من الاهمال لمدة طويلة من الزمن الا انه قبيـــل معركة ملاذكرد حظيت تحصيناتها باهتمام بيزنطة البالغ ، وأعيدت الى ما كانت عليه من مناعة وحصانة . (انظر :

Attaliate, p. 148; Skylitzès Continué, E. Th. Tsolakis, pp. 144, Cf. Lemerle, Le Typiken de Grégoire Pakourianos (Decembre 1083, dans Cinq Etudes sur le XIe siècle Byzantin, Paris, 1977, art. III, p. 167.

وقد ذكر اريستاكيس أنـــه بوصـــــول الجيش البيزنطى الى ثيودوسيوبوليس ، قام رومانوس بتفقد تشكيلاته انظر :
Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 125.

(٥٥) زودنا المؤرخ اطالياطس Attaliate شاهد العيان والمنخرط فى صفوف تلك المعركة الحاسمة ، بلوحة قاتمة عن أحوال الجيش البيزنطى قبيل معركة ملاذكرد فقال : « هذه الكتائب المشهورة ، خفضت أعدادها الى بضع رجال طحنهم الفقر ، بلا اســلحة ولا خيول ، وكانوا فى طى النسيان ، ذلك لانه منذ سنين عديدة لم يقم أحد الاباطرة بحملة على الشرق . كذلك لم يتقاضوا رواتبهم ، واعتقدت بهم الامور أن يذوقوا الا تماكأس الهزيمة ، وكانوا معوزين للغاية ، وتنقصهم ضروريات الحياة نقصا يكاد يكون كاملا ، فافتقدهم كل ذلك شجاعتهم ، بل ان رنوكهم كانت شـــاهدا صامتا على أحوالهم السيئة البائسة ، اذ كانت قذرة وكأنها مغطاة بسواد الدخان » (انظر Attaliate, 103 . ولم تقل صورة المؤرخ المكمـــل لحوليـــة سكيلتزز اظلاما اذ قال : « طرأت تغييرات كبرى على ذلك الدرع الشهير الامبراطورية والمتمثـــل فى الجيش القـــومى

القديم المجند فى الثيمات . هذه الكتائب التي كانت قد هزمت من
قبل كل الشرق والغرب ، أصبحت الآن تستخدم أسلحة الصيد
والمناجل ، اضافة الى ذلك ، لم يتقاض هؤلاء الجنود رواتبهم منذ
زمن طويل ، ذلك لأن الامبراطور لم يقم بحملة اطلاقا . واعتبروا
فى حكم جنود عديمى الفائدة لايستحقون رواتبهم،فرواتبهم بمثابة
أعباء مالية لا فائدة منها . هكذا كان حال الجيش القومى فى آسيا
الصغرى . لذا اعتمد رومانوس على جيوش مرتزقة من المقدونيين
والبلغار والقبدوقيين والغز Ouzes والورنك Varanges
وأضيف اليهم أيضا الاتراك » . انظر :

Skylitzes Continué, p. 125.

(٥٦) اختلفت رواية كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز
وزونوراس ومتى الرهاوى عن رواية مؤرخنا نقفور برينيوس .
فتذكر هذه المصادر ان الامبراطر البيزنطى أخذ بنصيحة قادته .

ففى سيواس Sébaste استقبل رومانوس الامراء الارذررونيين
آتوم Atom وابا سهل Abousahl ثم توجه بعد ذلك الى
ثيودوسيوبوليس حيث أنهى استعدادات جيشه لخوض المعركة
الفاصلة ، وقام بتوزيع المؤن والمال على جنوده . (انظر :

Attaliate, p. 148; Skylitzes Continué, p. 144;
Zonoras, pp. 606-607; Matthieu d'Edesse, pp. 166-167.

وقد انفرد متى الرهاوى دون غيره من المصادر الارمنية والبيزنطية
والاسلامية باظهار العداء الذى كان يكنه البيزنطيون للارمن قبيل
معركة ملاذكرد اذ قال فى هذا الصدد : « حشد الامبراطور البيزنطى
جيشا هائل العدد ، مساويا فى عدده لرمال البحار . . . وانخرط
فى صفوفه أمراء الارمن آدوم (آتوم) وأبو سهل . لكن الروم نقلوا

وشايات الى الامبراطور ضد سكان سيواس وضد الامة الارمنية ، اذ خدعوه قائلين له : عندما هزمنا الامير جويد ريدج Guedridj (ويقصد هنا اريسغى ، زوج أخت السلطان الب ارسلان انظر حاشية رقم ٣٩) . دبت الفـــرحة فى قلوب الارمن ، وشمتوا لهزيمتنا ، وانعدمت الشفقة من قلوبهم اكثر من الســلاجقة . فأقسم ديوجينيس انه بعد عودته من حملته ضـــد السلاجقة ، سيفنى الأمة الارمنية وعقيدتها . وفى نفس الوقت ، أصدر أوامره لجنوده بنهب سيواس ، فنفذ جنوده أوامره ، بل وتمادوا فى ذلك بأن قتلوا العديد من سكانها . اما الامبراطور البيزنطى ، فقــد قام بطــــرد أدوم وأبى سهل ، فعم الحـــداد والحـــزن ربوع سيواس . ومع ذلك فكبار رجال الامبراطورية قالوا لديوجينيس « لا تصـــغ لوشايات أتباعك ، فهم كاذبون ، ذلك لان الارمن الذين خاضوا الحـــرب ضـــد الاتراك ، كانوا حقا مخلصين فى تحـــالفهم مع الروم ، فكان من نتيجـــة ذلك ان هذا الامبراطور البيزنطى . ومع ذلك ، فقد أقسم أنه عقب عودته سيفنى العقيدة الارمنيـــة وعنـــدما ســـمع رجال الدين الارمن بنوايا رومانوس وتهـــديداته ، أخذوا يلعنونه فى صلواتهم ، داعين الا يعود من ميدان القتال « انظر

Matthieu d'Édesse, ch. CIII, pp. 166-167.

على أية حال ، كان من الطبيعي على المؤرخ الارمني متى الرهاوى أن يدافع عن كل تهم تلصـــق وتنسب الى بنى جنســـه . كذلك كان حال المؤرخ الارمنى المعاصر اريستاكيس اللاستيفرتى الذى أبرز بوضوح بالغ دور الارمن فى معـــركة ملاذكرد ، وطبيعـــة العـــلاقات بينهم وبين الامبراطور البيزنطى ، والتى تقلبت بين

الجفاء والصفاء . اذ اظهر حقد رومانوس على الكتيبة الارمنيــة
فى أول الامر ، ثم تبدل هذه النظــرة العدائية بسبب شجاعتهم
وبسالتهم فى القتـــال . وكان هدف أريستاكيس من روايته هذه
ابعاد التهم الموجهة الى بنى جنسه والتى مفادها ان الكتيبــة
الارمنية المنخرطة فى صفوف الجيش البيزنطى ، لاذت بالفرار من
ساحة الوغى . (للتفاصيل انظر

Aristakès, ch, XXV, p. 126.

والجـدير بالملاحظة ان الحقــد والكره والعداء بين البيزنطيين
والارمن قديم قدم العلاقات بينهما . ومن الاقوال البيزنطيــة .
المأثورة « ان الصديق الارمنى هو اسوأ الاعداء ، فالارمنى كاذب
وخائن ومحتال » (انظر :

Vita Euthymii, éd. de Boor, Berlin, 1888, p. 2.

أما الارمن فكانت من اقوالهم المأثورة : « يتميز البيزنطيـــــون
بالضعف والخداع » (انظر :

Lazare de Parb, tr. Langlois, dans Collection des Historiens Arméniens, t. II, ch, 64, p. 344; ch. 66, p. 362; Matthieu d'Edesse, ch, 65, 84, 123.

وأضاف المؤرخ ميخائيل السريانى أن الارمن قالوا عن البيزنطيين
« انهم اسو الاســياد ، يتسمون بســوء النية ، ويسيطر على
عقولهم الجنون بسبب حقدهم على كل الارثونكس » (انظر :

Michel le Syrien, t, II, p. 482.

كذلك اتهمهم المؤرخ الارمنى اسوليك بالبخــل الشديد فقــال :
« ليس من المعتاد عند البيزنطيين أن يتسم الانسان بالكرم ، بل

ان كلمة الكرم لم ترد فى قواميس لغتهم » (انظر :

Histoire Universelle, 2e partie, tr. Macler, Paris, 1917, livre IIII, ch. 3, p. 116.

ومن الغريب أيضا ان المسلمين وصفوا الروم بالبخل ، فقد ذكر ذلك الجاحظ فى « كتاب البخلاء » ويبدو أن مصدر ذلك ، هو ما اشاعه الارمن عنهم . وقد فاق متى الرهاوى فى حقده وكرهه للبيزنطيين غيره من مؤرخى الارمن حين قال « فقدت ممكلتنا أصحابها الشرعيين نتيجة عملية الضم الى الامبراطورية البيزنطية المنخورة القوى ، تلك الامة المخنثة الخسيسة الدنيئة .... ولقد اشتهر الروم بسرعة الفرار من ميادين القتال ، فكانوا أشبه بالراعى الذى يلوذ بالفرار بمجرد أن يلاحظ ذئبا ... » (أنظر :

Matthieu d'Edesse, ch. LXXXIV, p. 113.

(٥٧) اشار ميخائيل السريانى الى حدوث انشقاق بين قادة الجيش البيزنطى وامبراطورهم رومانوس الرابع انظر :

Michel le Syrien, livre XV, ch. III. p. 169.

(٥٨) توج القائد البيزنطى رومانوس ديوجينيس امبراطورا فى يناير سنة ١٠٦٨م/٤٦١هـ ، عقب زواجه من الامبراطورة ايدوسيا Eudocia أرملة الامبراطور قسطنطين دوقاس . واعتبر تربعه على عرش الامبراطورية البيزنطية انتصارا لطبقة الارستقراطية العسكرية وهزيمة للبيروقراطية المدنية . وكان رومانس قائدا بارعا اذ اكسبته انتصارته فى الحرب ضد البشناك فى البلقان شهرة واسعة النطاق . (انظر

Rice, Byzantium, London, 1969, pp. 89 et suiv.

لذا قال عنه نقفور برينيوس انه كان شاملا نتيجـــة انتصــــاراته السـابقة التى ملأته بالتكبر والغطرسة (انظر

Bryennios, tr. Gautier, ch. XIII, p. 106; tr. Henri Grégoire, ch. XIII, p. 488.

أما أريستاكيس ، فقد اكتفى بالقول ان رومانوس بذل قصــــارى جهده لحشد كتائب لا حصر لها . وبعد أن رأى هذه الجمـــوع الغفيرة تحت امرته « ركبه التكبر وأخذته الغطرسة ، واعتقد أن ملوك الارمن أجمعين لا يمكنهم قهر جيوشه » انظر :

Aristakès, tr, Canard, ch, XXV, p. 125.

(٥٩) تقع « منبج » شمال بلاد الشام ، بين حلب ونهر الفرات . وقد استولى عليهـــا الامبراطور رومانوس سنة ١٠٦٨م/٤٦١هـ . (انظر ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا ــ تحقيق اسماعيل العربى ــ الجزائر ١٩٨٢ ــ ص١٥٤ ــ ١٥٥ ، ابن جبير : رحلة ابن جبير ــ بيروت ١٩٧٩ ــ ص٢٢٣ ــ ٢٢٤ . وعن اســـتيلاء رومانوس على منبج انظر ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٥٦ ، الاصفهــــانى : تواريخ آل ســـلجوق ، ص٣٥ ، الذهبى : دول الاسلام ، جـ١ ، ص٢٧٠ . انظر أيضا

Cahen, La Campagne de Mantzikert d'après les sources Musulmanes, pp. 623-624; Idem, La Syrie du Nord à l'époque des Croisades, Paris, 1940, p. 155.

وقد وردت على شكل « ممبتز » «Mempetze» فى مصنف ليـــون دياكر (انظر

Leonis Diaconi Calocensis Historiae Libri Decem et

Liber de Velitatione Bellica Nicephori Auqusti, éd. C.B. Hase dans C.S.H.B., Bonn, 1828, p. 71.

أما برينيوس ، فقد أوردها على شـــكل« ممبت » «Mempet» انظر:

Bryennios, tr. Gautier, liv. I. ch. XIII, 106; tr, H. Grégoire, I, ch. XIII, p. 488.

ووردت فى المصـــادر البيزنطية عادة تحت اسم « هيرابوليس » «Hiérapolis» (انظر

Attaliate, pp. 116 et suiv.; Skylitzès Continué, pp. 131 et suiv. Cf. Lemerle, Le Testament d'Eustathios Boilas (Avril 1059), dans Cinq Etudes sur le XIe siecle Byzantin, Paris, 1977, art. I, p, 51.

(٦٠) عن ما أصاب منبج أثر حملة رومانوس ، والفزع الذى ساد ربوع حلب وغيرها من المدن نتيجة ذلك يقول ابن كثير : « توجه ملك الروم من القسطنطينية الى الشام فى ثلثمائة الف مقاتل فنزل على منبج ، وأحرق القرى ما بين منبج الى أرزن الروم وقتل رجالها ، وسبى نسائهم وأولادهم ، وفزع المسلمون بحلب وغيرها فزعا عظيما » . (انظر : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٩٩) و ما يذكر أن الب ارسلان كان يقـــاتل فى حلب عنـــدما علم بزحف الجيش البيزنطى ، وكانت معه كتائب قليلة . فصعد نحو الشمال الغربى عن طريق الرها والموصل وخوى (انظر

Cahen, Mantzikert, p. 629.

وفى الموصل ، استقبل قاضى ملاذكرد والهاربين من هذه المدينة الذين اتوا لطلب نجدته (انظر

Matthieu d'Edesse, ch. CIII, p. 167.

فرحل فى الحال مع ما استطاع حشده من جند بلغ أربعة عشر الفا من الكرد والاكراد وذلك لمجابهة جيوش رومانوس . ولقد أوضح سبط بن الجوزى الذى يحتل مخطوطة « مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » خاصة الفترة من ٤٤٨هـ الى ٤٧٩هـ ، اهمية بالغة وعلى وجه الخصوص سرده التاريخى لظهور الاتراك السلاجقة على مسرح الاحداث وذلك لنقله عن مصدر معاصر مفقود (انظر Cahen, L'Iran du Nord-Ouest en Face a l'expansion Seldjukide, d'après une source inedite, dans Turcobyzantina, London, 1974, fasc, VI, p. 1.

أوضح مدى الذعر الذى انتاب السلطان السلجوقى وجيشه فور علمه بزحف رومانوس على رأس جيش جرار . واقتنع العاهل السلجوقى أنه مقدم على مخاطرة ربما يكون ضحيتها لذا عين ابنه ملك شاه سلطانا على السلاجقة خلفا له ، وبايعه جنده . وفى هذا يقول سبط بن الجوزى : « ... جاء خبر ملك الروم وأنه قد تجهز فى العساكر الكثيرة وأنه قاصد بلاد الاسلام . وكان السلطان فى قليل من العساكر ، لأنهم عادوا جافلين من الشام ، وتلك الجفلة استهلكت اموالهم ودوابهم ، فطلبوا مراكزهم . وبقى السلطان فى أربعة آلاف غلام ، ولم ير الرجوع لجميع العساكر ، فتكون هزيمة ... وامر نظام الملك بجمع العساكر وانفاذها اليه . وقال لوجوه عسكره الذين بقوا معه ، أنا صابر صبر المحتسبين وصائر فى هذه الغزاة مصير المخاطرين ، فان نصرنى الله فذاك ظنى فى الله تعالى ، وان لم تكن الاخرى فانا اعهد اليكم أن تسمعوا لولدى ملك شاه ، وتطيعوه وتقيموه مقامى . فقالوا سمعا وطاعة . وبقى مع العسكر الذين ذكرنا

ومع كل غلام فرس يركبه وآخر يجنبه ، وسار قاصدا ملك الروم » . (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧١ — ٣٧٢ — وأيضا العينى : عقد الجمان ، احداث سنة ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٥ .

ونلاحظ أن العينى لخص ما أورده ابن الجوزى فى سطرين فقط .

(٦١) عن تعداد جيش رومانوس انظر حاشية رقم ٤٠ .

(٦٢) الجدير بالملاحظة أن بريينيوس نقل الثلاثة سطور الاخيرة عن بسللوس . قارن Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIII,

Psellos, Chronographie مع p. 106, lignes 18-20:

tr. Renauld, Paris, 1926-1928, II, p. 161, lignes, 11-12.

(٦٣) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIII, p. 106, tr. H. Grégoire, I, ch. XIII, p. 488,

(٦٤) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIV, pp. 106-110, tr. H. Grégoire, I, ch. XIV, pp. 488-490.

(٦٥) كان الماجستروس نقفور بازيلاكيس Nicephore Basilaskès دوقا على ثيودوسيوبوليس (انظر

Attaliate, p. 155, Skylitzès Continué, p. 154; Zonoras, p. 697.

وقد سقط أسيرا فى قبضة الاتراك السلاجقة أثناء معركة ملاذكرد . (انظر :

Attaliate, p. 165; Skylitzès Continué, p. 152.

وثار فيما بعد على ميخائيل السابع (١٠٧١ — ١٠٧٨م) وعلى بوتانياتس (١٠٧٨ — ١٠٨١) (انظر :

Attaliate, p. 155, Skylitzès Continué, p. 154; Zonoras, p. 697. Cf. Laurent, Byzance et les Turcs Seldjoucides, p. 62, n. 3.

وللتفاصيل المطولة عن ثورته انظر :

Bryennios, tr. Gautier, pp. 216, 284-287, 290-298.

(٦٦) سقطت ملاذكرد فى قبضة الاتراك السلاجقة سنة ١٠٦٨م/٤٦١هـ . (للتفاصيل انظر :

Matthieu d'Edesse, ch. LXXVIII, pp. 101-102; Aristakès, tr. Canard, pp. 85-86; tr, Prud'homme, pp. 99-100.

واستعادها رومانوس الرابع حوالى منتصف أغسطس من عام ١٠٧١م/٤٦٣هـ (للتفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 151-152; Skylitzès Continué, pp. 144-145; Zonoras, p. 697.

وتقع ملاذكرد فى أرمينية الى الشامل من بحيرة فان Van . وقد اختلفت تسميتها فى المصادر الاسلامية اختلافا شديدا . فسبط الجوزى يسميها « مناذكرد » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٦٦ — ٣٦٧) ، وفى ابن العديم وياقوت الحموى « منازكرد » (انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص٢٦ ، ياقوت : معجم البلدان — بيروت دار الكتاب العربى — جـ٥ ، ص٢٠٢) ، وفى ابن حوقل والفارقى « منازجرد » (انظر ابن حوقل : صورة الارض ، ص٢٩٥ ، تاريخ الفارقى ، ص١٨٦ — ١٩٠) ، وفى أبى الفداء « ملازجرد » (انظر تقويم البلدان ، باريس ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م ، ص٣٩٤ — ٣٩٥) ، وفى المقدسى

وابن الاثير «ملاذكرد» (انظر المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم — ليدن ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص٣٧٦، ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ٨، ص٦٧)، وفي القلقشندي «ماذكرد» (انظر صبح الاعشى في صناعة الانشا، جـ٤، ص٣٧٦)، في ابن خلدون «ملاذكرد» (انظر العبر — بيروت ١٩٥٨ — جـ٦، ص٢٦٥). وعنهـا قال ياقوت الحموي: «واهله يقولون منازكرد بالكاف، بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم، يعد في أرمينية واهله أرمن وروم ...».

أما صاحب تقويم البلدان فيقول: «ملازجرد من ارمينية، وهي بلد صغير»، «وبناؤها بالحجر الاسود وبها أعين وليس لهـا اشجار»، ثم ينقل عن ابن حوقل قوله: «وهي بلدة تقـارب خلاط ونشوى في القدر، خصبة، كثيرة الخير، وهي قريبة من ارزن بينهما يومان أو ثلاثة، وتقع أرزن جنوبيها وشرقيها بدليس وبينهما قريب يوم ونصف». هذا عن المصادر الاسلامية. أما المصـــادر البيزنطيـــة، فقـــد أجمعت على تسميتها منتزيكرت Manzikiert وأحيانا منزيكيرت Mantzikiert (انظر
Psellos, II, p. 162; Attaliate, p. 166; Zonoras, p. 697.

وقد أجمع المؤرخون الغربيـــون المحدثون على اســـم منتزيكرت Mantzikert انظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, U.S.A., 1958, II, p. 356, Brehier, Vie et Mort de Byzance, Paris, 1969, pp. 231-233; Cahen Mantzikert, pp. 5-67.

أما المصادر الارمنية، فقد أوردتهـــا على شكل «منـــازكرت» Manazkert (انظر

Matthieu d'Edesse, pp. 99-102; 163-167; p. 405, n. 2;

Aristakès, tr. Canard, pp. 6, 75-76; 81-83; 87, 126

ولقد أوضح اريستاكيس سبب اقدام رومانوس على قتال السلاجقة اذ قال أن العاهل البيزنطى وجد أن السلطان السلجوقى كان قد استولى على أجزاء كبيرة من الامبراطورية البيزنطية ، وطرد منها حكامها من قبل بيزنطة ، وعاد ثانية الى بلاده محملا بالغنائم والاسلاب والاسرى . « وكان رومانوس قد اشتهر بالشجاعة ، لذا قرر خوض غمار الحرب ضد السلاجقة حتى لا يظهر بمظهر الخائن ، وحتى لا يترك وراءه ذكرى سيئة »

أنظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 125.

(٦٧) أشار متى الرهاوى الى الخطأ الجسيم الذى ارتكبته بيزنطة فى حقها وحق أرمينية والمسيحية ، مظهرا أهمية ارمينية كدولة حاجزة ، وذلك عند حديثه عن تقاعس الروم عن نجدتها أثناء اجتياح الاتراك السلاجقة لاراضيها ، اذ قال : « من يستطيع أن يسرد مآسى الامة الارمنية وآلامها ودموعها وما عانته من عذاب اليم على يد الاتراك السلاجقة . فالسلاجقة بمثابة حيوانات مفترسة متعطشة لسفك الدماء . ففى لحظة ما ، فقدت مملكتنا أصحابها الشرعيين نتيجة عملية الضم الى الامبراطورية البيزنطية المنخورة القوى ، تلك الامة المخنثة الخسيسة الدنيئة . فلقد قام البيزنطيون بتحطيم عرشنا الملكى ، وهدم ذلك السد الحامى والدرع الواقى لظهرهم والذى كان يشكله جنودنا الشجعان

البواسل . هؤلاء الروم الذين اشتهروا بسرعة الفرار من ميادين القتال ، كانوا أشبه بالراعي الذي يلوذ بالفرار بمجرد أن يلاحظ ذئبا . فلم يهنأ له بال ، ولم يستكينوا الا بعد أن حطموا أومينية ، ذلك الجدار الواقي ، ومزقوا صدور أبنائها الابطال » . (انظر

Matthieu d'Edesse, ch. LXXXIV, p. 113.

والحقيقة ان هدم الامبراطورية البيزنطية لأرمينية سهل للسلاجقة عملية الاستيلاء على آسياء الصغرى ، بل وتهديد الامبراطورية البيزنطية ذاتها ، بعد أن وقف الاسد السلجوقي على حدود الرجل المريض ، يتحين الفرصة المواتية لالتهامه

Bryennios, tr. Gautier, 1, ch. XIV, pp. 106-108; tr. H. Grégoire, p. 488.

(٦٩) أرسل ليون دياباتينوس Leon Diabatenos كسفير من قبل العاهل البيزنطي الى السلطان السلجوقي الب ارسلان اثناء حصاره لحلب . وقد أورد سبط بن الجوزي رواية تكاد تكون متفقة مع رواية برينيوس ، اذ قال : « وردت رسل ملك الروم برد متبع وتالكرد اليه ويحمل اليه هدنة . . . وضجر السلطان من المقام بحلب ، تكر راجعا ، فقطع الغزاة وهلك أثر الدواب والجمال . وكان عبورة شبه الهارب . . . وعاد رسول الروم مستبشرا الى صاحبه ، فقوى ذلك عزم ملك الروم على أتباعه وحزبه . . . » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقة ٣٧٠) . ولم يذكر سبط بن الجوزي اسم رسول الروم ، أي اسم ليون دياباتينوس . لكن نستشف من روايته أن الرسول الرومي اعتقد

أن السلطان السلجوقى لاذ بالفرار خوفا وهلعــا من مواجهــة الجيش البيزنطى الجرار ، وتأكد له ذلك لجهله بحيل السلاجقة وتكتيكاتهم واستراتيجيتهم الحربية . ولقد أوضح سبط بن الجوزى ذلك صراحة بقوله : « وكان عبوره شبه الهــارب » . وبذلك انخدع دياباتينوس ، وبالتالى رسم صورة زائفة خاطئة للعاهل البيزنطى أوضح له فيهــا فرار القــائد السلجوقى وما حل من اضطراب وفوضى فى صفوفه . والحقيقة أن تراجع الب ارسلان هذا ، الذى هو أقرب الى « شبه الهارب » قد تم تبعا للطريقة التركمانية فى خداع العدو والتغرير به . فالسلاجقة كبدو كانت لديهم خططهم الخاصة فى الزحف ، كما كانت لهم مبادئهم المتميزة فى فن السوقية العسكرية . وتنطلق هذه المبادىء من الاعتمــاد على طبيعة البدو وخفته ومرونته فى الحركة ، واستحالة خضوعه لانظمة ضبط وربط محددة ، فيها يعطى القائد أمرا عاما يحــدد فيه لقواته البدوية نقطــة وليلة التواجد ، ويندفع البــدو زمرا وافرادا فى اتجاهات مختلفة ، وهنا يظن العدو أنهم تفرقوا على غير عودة ، لكنه لا يدرى أن تفرقهم يفيد قائدهم بتحــريره من قضايا التموين ، ثم يدمر أراضى العدو ، ويضلل قيادته ، ويجبرها فى كثير من الاحيــان على تحضير خططه لسحق بضعة آلاف من البدو . لكن هذا العدو يدهش فى صباح اليوم التالى ، عندما يجد قوات البدو وقد تضاعفت فى الليل الى أضعاف مضاعفة لذا تنهار معنوياته وقواته ، ويتم عامل المفــاجاة ، وهكذا يتحقق النصر . هذا ما طبقه الب ارسلان عندما التقت قواته لاول مرة بقوات الامبراطور البيزنطى رومانوس . ونظــرا لان قوات السلاجقة

(ب)مكرر

كانت من الفرســـــان الرمـــاة ، وقـــوات الـــروم كانت

من الفرســـان الثقـــال مع المشـــاة ، فقـــد

قامت خطة السلاجقة على مبدأ فصل المشـــاة عن الفرسان .

فالفرسان الثقـــال يفقدون الكثـــير من قيمتهم بدون حراسة من

المشاة ، وأيضا لا قيمة كبيرة للمشاة بدون الفرسان الثقـــال .

فكان شغل السلاجقة الشاغل هو امطار خيول الفرسان بوابل

من سهامهم ، ثم القضاء على الفرسان الثقال والمشاة كل على

انفراد ، فكان النصر حليفهم . انظر ســـهيل زكار : مدخل الى

تاريخ الحروب الصليبية ــ دار الفكر ١٩٧٥ ــ ص١٤٧ ــ ١٤٩ .

وعن مهارة السلاجقة وحنكتهم الحربية انظر :

Bryennios, tr. Gautier, I, ch, X, p. 98. Cf. Grousset, H. de l'Arménie, p. 629.

(٧٠) ذكرت المصادر البيزنطية أن قبيل معركة ملاذكرد أرسل السلطان

السلجوقى الب ارسلان الى العاهل البيزنطى يعـــرض عليـــه

السلام لكن رومانوس رفض مطلب السلطان بغطرسة (انظـــر

Attaliate, pp. 159-160; Skylitzès Continué, pp. 147-148; Zonoras, pp. 699-700.

ويؤخذ على برينيوس تجاهله الاشارة الى ذلك . أما المصـــادر

الاسلامية فقد زودتنا بمادة غزيرة عن مبادرة السلام السلجوقية

فيذكر سبط بن الجوزى وهو أهم هذه المصـــادر ان رومانوس

« قصد ناحية السلطان فى موضع يعرف بالرهوة (اخطأ كلود كاهن

وسماها « الزهرة » «Az — Zahra» . انظر :

Cahen, Mantzikert, p. 631

وقد انزلق الى نفس الخطأ كل من رنيه جروسيه (انظر :

Histoire de l'Armenie, p. 628.

وهو نجمان انظر Ostgrenze, p. 190 et ibid., n. 3

بين خلاط ومناذكرد لخمس بقين من ذى القعدة (١٧ أغسطس ١٠٧١م) . فبعث اليه السلطان بأن يرجع الى بلاده ويتم الصلح الذى توسطه الخليفة فقال : لا أرجع حتى افعل ببلاد الاسلام ما فعل ببلاد الروم ، وقد انفقت الاموال العظيمة ، فكيف أرجع » (انظر مرآة الزمان ، ج٩ ، ورقتى ٣٧٢ — ٣٧٣) . وكانت رواية ابن الجوزى قليلة الاختلاف عن سابقتها ، الا أنه يؤخذ عليه الخلط بين السلطان السلجوقى والامبراطور البيزنطى اذ قال : « راسل السلطان ملك الروم بأن يعود الى بلاده وأعود أنا وتتم الهدنة بيننا التى توسطنا فيها الخليفة . وكان ملك الروم (خطأ فى المنتظم وصحة ذلك ، وكان السلطن السلجوقى) قد بعث رسوله يسأل الخليفة أن يتقدم الى السلطان (خطأ ثان ، وصحة ذلك ، يتقدم الى ملك الروم) بالصلح والهدنة . فعاد جواب ملك الروم بانى قد أنفقت الاموال الكثيرة ، وجمعت العساكر الكثيرة للوصول الى مثل هذه الحالة ، فاذا ظفرت بها ، فكيف أتركها هيهات لا هدنة الا بالرى (اى انه عزم على اجتياح سلطنة السلاجقة حتى يصل الى قلب دولتهم بالرى) ولا رجوع الا بعد أن أفعل ببلاد الاسلام مثلما

فعل ببلاد الروم » . (انظر المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١) . أما ابن الاثير ، فقد زودنا برواية موجزة ، اذ قال : « فلما تقارب العسكران ، أرسل السلطان الى ملك الروم يطلب المهادنة ، فقال لا هدنة الا بالرى » (انظر الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩) . كذلك جنح العينى الى الاختصار اذ أورد فى روايته « ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب المهادنة ، فقال له لا هدنة الا بالرى » (انظر عقد الجمان ، احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٦) . الا أن ابن العديم ، زودنا بتبرير غريب يبعث على الدهشة ، عن أسباب سفارة السلام السلجوقية . اذ قال أن هدفها الاساسى التجسس على الجيش البيزنطى . وهذا يتنافى مع كافة المصادر الاخرى من اسلامية وبيزنطية وارمنية . فابن كثير على سبيل المثال ، أوضح صراحة أن السلطان السلجوقى « خاف من كثرة جند ملك الروم » (انظر البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١) . اضافة الى ذلك ، فان كافة المصادر الاسلامية أجمعت على أن السلطان انتابه الفزع والاضطراب ودبت الفوضى فى صفوف جيشه ، بل واعتبر حربه هذا بمثابة مخاطرة لا يعرف عواقبها ، لذا عين ابنه ملك شاه خلفا له . (انظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧١ — ٣٧٢ ، العينى : عقد الجمان ، احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٥ . وكذلك حاشية رقم ٦٠) . على اية حال ، قال ابن العديم : « ارسل السلطان رسولا حمله سؤالا وضراعة ومقصوده ان يكشف أمرهم ، ويختبر حالهم ، ويقول لملك الروم : ان كنت ترغب فى الهدنة أتممناها ، وان كنت تزهد فيها ، وكلنا الامر الى الله عزوجل . فظن ملك الروم أنه أرسله عن

ضرورة،فأبى واستكبر وأجاب سوف أجيب عن هذا الرأى بالرى »
(انظر زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٧) . وبذلك يؤخذ على رواية
ابن العديم مأخذ ثان ، الا وهو اغفاله توسط الخليفة العباسى
فى هذه السفارة ، والذى كان على علاقات ودية مع رومانوس .
والدليل على ذلك ، ما ذكره سبط بن الجوزى اذ قال : « وكان
(ملك الروم) قد أقطع البطارقة البلاد مصر والشام وخراسان
والرى والعراق (من هذا يتضح أن هدف رومانوس من حملته
الجرارة هذه ليس فقط الاستيلاء على أملاك سلطنة السلاجقة ،
لكن أيضا غزو الشرق الاسلامى بكامله) واستثنى بغداد وقال :
لا تتعرضوا لذلك الشيخ الصالح ، فانه صديقنا يعنى
الخليفة — ... » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٣ —
٣٧٤) . وقد هدف الب ارسلان من توسط الخليفة ، ضمان
نجاح مساعى الصلح ، لذلك لم يرسل سفارة من قبله مباشرة ،
بسبب العداء المتفجر بينه وبين العاهل البيزنطى . على
اية حال ، كان على رأس هذه السفارة شخص من كبار عمال
الخليفة العباسى ويدعى المهلبان **Al-Muhalbân** وبصحبته
أحد اتباع الب ارسلان ويدعى سواتكين . **Sawtekin**
ووصلت هذه السفارة الى بلاد الروم يوم الاربعاء ١٧ أغسطس
سنة ١٠٧١م/٥ ذى القعدة سنة ٤٦٣هـ ، اى قبل المعركة
الفاصلة بيومين (انظر :

Bryennios, tr. Gautier, p. 115, n. 7. Cf. Cahen, Mantzikert. pp. 631-632 et n. 5.

وقد اخطأت الدكتورة اسمت غنيم حين قالت أن السفارة وصلت

يوم الاربعاء اى قبل المعركة الفاصلة بيوم واحد ، علما بأن المعركة الفاصلة هذه حدثت يوم الجمعة كما اوضحت فيما بعد ، وليس يوم الخميس انظر «معركة منزيكرت ، ص٢٢٠) . ومما يذكر أنه بعد فشل مساعى السلام السلجوقية ، انزعج السلطان لذلك ، وانقطعت المراسلة بينهما (انظــر العينى : عقــد الجمــان ، ورقة ٢٦٦ ، ابن العــــديم : زبــدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٧ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩) . فنصحه امامه وفقيهه ان يقاتل الروم يوم الجمعة اذ قال له : « انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره ، واظهاره على سائر الاديان ، وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعــة بعد الزوال فى الساعة التى يكون فيها الخطبــاء على المنابر ، فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر ، والدعاء مقرون بالاجابة » . (انظر ابن الاثير : الكامل فى التــاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩) . وقد جنح كل من ابن العديم وابن كثير والعينى الى اختصــار هذه الرواية . (انظر زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٧ ، البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١ ، عقد الجمان احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٢٦) . والملاحظ ان سبط بن الجــوزى ، وجده ابن الجوزى نسبا هذه الرواية الى السلطان السلجوقى نفسه ، واهمــلا بذلك ذكر اسم امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى . فيقول سبط الجوزى : « واقام السلطان الى نهار الجمعة ، وجمع وقت الصلاة اصحابه وقال : الى متى نحن فى نقص وهم فى زيادة ، اريد أن اطرح نفسى عليهم فى هذه الساعة التى جميع المسلمين يدعون لنا على المنابر ، فاما نصرنا عليهم والا مضينا شهداء الى

الجنـــة » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقة ٣٧٣) . اما رواية جده ابن الجوزى فكانت قليلة الاختلاف . اذ قال:«فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة صلى السلطان بالعسكر ودعا الله تعالى وابتهل وبكى وتضرع وقال لهم : نحن مع القوم تحت الناقص واريد أن أطرح نفسى عليهم فى هذه الساعة التى يدعى فيهـــا لنا وللمسلمين على المنابر ، فاما أن أبلة الغـــرض ، واما أن أمضى شهيدا الى الجنة » (انظر المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١ — ٢٦٢) .

تعقيبا على الروايات السابقة ، نلاحظ أن العاهل السلجوقا نجح بدهاء خـــارق فى أن يصبغ الصراع السلجوقى البيزنطى بصبغة دينية ، معلنا بين جنوده أن الاسلام فى خطر ، وانه لا سبيل الى انقاذه وانقاذ أتباعه الا بالانتصار على البيزنطيين . لذا دعاهم الى الاستماتة فى القتال ، والجهاد فى سبيل الله ، والسعى وراء طلب الشهادة . وقد زودنا ابن الاثير بوصف بالغ الحيـــوية عن أحوال السلطان السلجوقى وجنوده قبيل اندلاع المعركة الفاصلة الى أن أسر ملك الروم فقال : « لما كانت تلك الســـاعة من يوم الجمعة ، صلى الب ارسلان وبكى ، فبكى الناس لبكائه ، ودعا ودعوا معه . وقال لهم : من اراد الانصراف فلينصرف ، فمـــا هاهنا سلطان يأمر وينهى . والقى القوس والنشـــاب ، واخذ السيف والدبوس ، وعقد ذنب فرسه بيده ، وفعل عسكره مثله ، ولبس البياض وتحنط ، وقال ان قتلت ، فهذا كفنى . وزحف الى الروم وزحفوا اليه ، فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه بالتراب وبكى واكثر الدعاء . ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه ، فحصـــل المسلمون فى وسطهم ، وحجز الغبار بينهم ، فقتل المسلمون فيهم

كيف شاؤوا وانزل الله نصره عليهم ، فانهزم الروم ، وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى وأسر ملك الروم ».

(انظر الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ص١١٠ انظر ايضا سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٣ — ٣٧٤ ، تاريخ العظيمى ، ص٣٥٩ ، ابن الجوزى المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١ — ٢٦٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١ ، العينى : عقد الجمان ، احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٦) . أما عن موقف الخليفة العباسى ، فقد ارسل الى العاهل السلجوقى رسالة تشجيع ، أخبره فيها انه أصدر أوامره الى كافة المساجد للدعاء له بالنصر وذلك اثناء صلاة الجمعة (انظر

Cahen, Mantzikert, p. 634.

واذا انتقلنا الى المعسكر البيزنطى ، نلاحظ أن القساوسة أقاموا القداديس ، وقام الجنود بترديد التراتيل الدينية . انظر :

Cahen, Mantzikert, p. 634.

(٧١) علق أريستاكيس على فكرة التقسيم بقوله : « طرأت على ذهن رومانوس فكرة شاذة ومنافية للمنطق ، الا وهى أن يرسل الجزء الاكبر من جيشه على رأس قادته الى طريق يختلف عن طريقه . أما هو ، فعلى رأس جيش هام ، اتخذ طريق الشرق » . انظر :

Aristakès, tr. Canaard, ch. XXV, p. 125.

(٧٢) عن خلاط قال ياقوت : « خلاط ، فى الاقليم الخامس ، وهى من فتوح عياض بن غنم ، سار من الجزيرة اليها ، فصالحه بطريقها على الجزية ومال يؤديه ورجع عياض الى الجزيرة » (انظر أيضا فايز نجيب اسكندر : الفتوحات العربية لارمينية — دراسة

تأريخية مع عرض وتحليل ودراسة مقارنة للمصادر والمراجع ـ أولا : حملة العرب الاولى على أرمينية سنة ١٩هـ/٦٤٠م ـ مجلة سيرتا العدد ٩/٨ ـ الجزائر ١٩٨٣ ، ص٣٨) . وهى قصبة أرمينية الوسطى ، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة . وببردها فى الشتاء يضرب المثل . ولها البحيرة التى ليس لها فى الدنيا نظير ، يجلب منها السمك المعروف بالطرنج الى سائر البلاد ، ولقد رأيت منه ببلخ ، وبلغنى انه يكون بغزنة . وبين الموضعين مسيرة أربعة اشهر ، وهى من عجائب الدنيا ، قال ابن الكلبى : من عجائب الدنيا بحيرة خلاط ، فانها عشرة أشهر لا يكون فيها ضفدع ولا سرطان ولا سمكة ثم يظهر بها السمك مدة شهرين من كل سنة » (انظر معجم البلدان ، جـ٢ ص٣٨٠ ـ ٣٨١) . أما ابن حوقل ، فلقد أوضح لنا أهميتها الاقتصادية وشراسة أخلاق أهلها اذ قال : « أهلها ذوو مال ويسار ، وبها اليوم المتاجر والاسواق الجادة ومقصد التجار والغالب على أخلاق أهلها الشراسة وبغضة الغريب . ولا تشبه دبيل فى العظم والكبر منها شىء ، وهى بأجمعها خصبة عامرة كثيرة الخير ... » (انظر صورة الارض ، ص٢٩٥) . أما القزوينى فقد أضاف قائلا : « ... واهلها مسلمون ونصارى ، وكلام اهلها العجمية والارمنية والتركية ذات سور حصين ... أما أهل خلاط فالفسق عندهم ظاهر ، وصناعها يعملون اقفالا ما فى شىء من البلاد مثلها » . (انظر آثار البلاد واخبار العباد ـ دار صادر بيروت ـ بدون تاريخ ، ص٥٢٤ . وللتفاصيل انظر : تقويم البلدان ، ص٣٩٤ ـ ٣٩٥ ، ابن الفقيه الهمذانى ، مختصر كتاب البلدان ـ مطبعة بريل

١٣٠٢هـ/١٨٨٤م ـــ ص٢٩٥ ، البغدادى : مراصد الاطلاع ، جـ١ ، ص٤٧٦ ، القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، جـ٤ ، ص٣٥٥) . وتقع خلاط على الشاطىء الشمالى لبحيرة فان ، جنوب غرب ملاذكرد . (انظر :

Bryennios, tr. Gautier, 1, ch. XIV, p. 108, n. 2; Constantine Porphorigenitus, Vol. II, Commentary, pp. 167-168. Cf. Canard, Histoire de la Dynastie des Hamdanides, Paris, 1953, p. 184.

ولقد أوضح اطالياطس ، المؤرخ البيزنطى الذى شارك فى معركة ملاذكرد ، دوافع ارسال قسم من الجيش البيزنطى الى خلاط قائلا : « ارسل الامبراطور البيزنطى الى خلاط جيشا من المرتزقة الاتراك سكيث **Scythes** لجمع الغنائم والاسلاب والمنهوبات . ثم ارسل اليه ثانية عناصر جرمانية تسمى فرنج **Francs** بقيادة زعيمهم روسل (المقصـــود روسل بايللول **Roussel de Bailleul**) . أمـــا الامبراطـــور البيزنطى ، فقـــد انسحب الى الخلف مع بقية جيشـــه بدلا من الانضمـــام الى الجيـــوش الزاحفة لمهاجمة خلاط . وكانت دوافع ذلك أنه فى العام الماضى تمكن السلطان السلجوقى من الاستيلاء على ملاذكرد ، وأقام بها حامية قوية ، لذا قرر الامبراطور البيزنطى أن يهـــاجم ملاذكرد ويستعيدها من قبضة السلاجقة ، مما استدعى مهـــاجمة خلاط القريبة منها . وقد اعتقد العاهل البيزنطى ان ملاذكرد ليست على درجة من الحصـــانة بحيث تستطيع تحمل هجوم بيزنطى ، لذا سلخ من جيشه كتيبة ثانية على درجة كبيرة من الاهمية ، وأسند

قيادتها الى الماجستروس جوزيف ترخانيوتس ، وانضمت الى الكتيبة الثانية هذه كتيبة من المشاة هائلة العدد . وامتاز جيش القائد ترخانيوتس بأن ضم فى صفوفه اشهر المقاتلين الذين لا يقهرون — على حد قول اطالياطس — بل فاق عددهم عدد الجيوش التى كانت لاتزال تحت امرة الامبراطور البيزنطى » .
انظر :

Attaliate, pp. 148-149.

(٧٣) عن جوزيف ترخانيوتس **Joseph Tarchaniotes** انظر حاشية رقم ٥١ . ومما يذكر ان رومانوس ارسل نجدة لانقاذ جيش روسل بايللول أثناء زحفه على خلاط ، تمثلت هذه النجدة فى ارسال كتيبة ثانية قوامها ثلاثون الف جندى من اشهر المشاة والفرسان الروم بقيادة الكرجى جوزيف ترخانيوتس . ووصلت هذه القوات أمام خلاط ، بينما كان العاهل البيزنطى يحاصر ملاذكرد . (انظر :

Matthieu d'Edesse, ch, CIII, p. 167; Attaliate, p. 149; Skylitzès Continué, p. 144.

وهكذا ، بالغ رومانوس فى تشتيت قواته . فقد أرسل ثلاثين الفا بقيادة ترخانيوتس الى خلاط لنجدة قوات روسل ، كذلك أرسل اثنى عشر الفا الى بلاد الكرج والابخاز للتزود بالمؤن على حد قول كلود كاهن (انظر : **Mantzikert, p. 631.**) ، وربما لتلقين بجراط الرابع درسا لن ينساه لانفصاله عن التحالف مع بيزنطة على حد قول بروسيه . (انظر :

Brosset, Histoire de la Georgie, 1, p. 335, n. 4.

ومما لاشك فيه أيضا أنه أرسل كتائب أخرى الى أماكن متفرقة .

انظر :

Cahen, Mantzikert, p. 631.

(٧٤) انتقد كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز وبسللوس التكتيكات الحربية اتى استخدمها الامبراطور البيزنطى فى موقعة ملاذكرد . وانتقدوا على وجه الخصــوص تقسيمه لجيوشه ، وخوض غمار الحرب فىتلك المعركة الفاصلة بجيوش ضئيلةعديمة الخبرة بفنون القتال . فعلى سبيل المثال ، لام بسللوس عدوه رومانوس ووصفه بأنه جاهل لفنون القتال . أنظر :

Psllos, II, p. 162, Attaliate, pp. 149-150; Skylitzès Continué, pp. 144-145.

(٧٥) كان ذلك صباح يوم الثلاثاء السادس عشر من اغسطس ســنة ١٠٧١م/٤ ذى القعدة سنة ٤٦٣هـ . وقد زودنا سبط بن الجوزى بأخبار هذه المعركة التى انتهت بانتصار الاتراك السلاجقة وأسر مقــدم الروم وجذع انفه ، اذ قال : « وســـار (أى السلطان السلجوقى) قاصدا ملك الروم وأرســـل أحد الحجــاب (فى ابن العديم صندق التركى) الذين كانوا معه فى جماعة من الغلمان مقدمة له . فصادف عند خلاط صليبا يحبه مقدم الروم فى عشـــرة آلاف ، فحاربهم فنصر عليهم وأسر المقدم وكان من الروس ، وأخذ من الصليب وبعث الى السلطان بذلك ، فاستبشر وقال هذا أمارة النصر . وارسل بالصليب الى همدان ، وجذع أنف المقدم ، ثم أمر بأن يحمل الى الخليفة » . (انظــر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقة ٣٧٢) . واختلفت رواية العينى عن رواية سبط بن الجــوزى

اختلافا طفيفا اذ قال : « سار (اى السلطان السلجوقى) فلما قارب العدو وجعل له مقدمة ، فصادفت مقدمة ملك الروم عند خلاط . وهو مقدم الروسية فى نحو خمسة عشرة الف (فى سبط بن الجوزى وابن الاثير عشرة آلاف) من الروم . فاقتتلوا ، فانهزمت الروسية ، وقتل مقدمهم (فى كافة المصادر الاسلامية ، أسر وتم جذع أنفه) . وانفذ السلب الى نظام الملك ، وأمره أن يرسله الى بغداد » (انظر عقد الجمان ، ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٥ . وللتفاصيل انظر ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩ . ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٦ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١) . وقد انفرد ابن الجوزى بوصف هذا الصليب ، اذ قال : « وكان خشبا وعليه فضة واقطاع من الفيروز وانجيلا كان فى سفط من فضة » (انظر المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١). وكان من نتائج هذه المعركة أن نجح صندق التركى فى انقاذ خلاط من السقوط فى قبضة ترخانيوتس . أما القائد البيزنطى ، فقد لاذ بالفرار الى ملطية . أما العاهل السلجوقى ، فبعد أن نجح فى انقاذ خلاط ، زحف الى ملاذكرد . وفى نفس الوقت كان رومانوس قد تركها ليسير الى خلاط . وبينما كان الب ارسلان على علم باقتراب عدوه ، كان رومانوس لايزال يعتقد أن السلطان السلجوقى لازال على مسافة بعيدة جدا عن جيوشه (انظر : Grousset, Histoire de L'Arménie, p. 627; Cahen, Manizikert, pp. 630-631.

والملاحظ ان الدكتورة اسمت قلبت الاحداث راسا على عقب (انظر معركة منزيكرت ، ص٢١٩) وتناقض تسلسل الاحداث

التاريخية التى أوردتها مع ما زودنا به برينيوس وكافة المصادر البيزنطية الاخرى . فعلى سبيل المثال ، ذكرت أنه تم القبض على بازيلاكس ، وأمر السلطان بجذع انفه . الا أن بازيلاكس قبض عليه فى معركة تالية كما أوضح ذلك برينيوس والمصادر البيزنطية الاخرى . اضافة الى ذلك ، يذكر كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز وزونوراس أن السلطان السلجوقى عامل أسيره بازيلاكس أحسن معاملة . اذن ، لم يجدع انفه كما ادعت الدكتورة اسمت . أما الذى جدعت أنفه ، فهو مقدم الروس كما اشارت الى ذلك المصادر الاسلامية السابق ذكرها . (انظر أيضا :

Grousset, Arménie, p. 628; Cahen, Mantzikert, p. 628.

كذلك أخطأ متى الرهاوى حين قال أن بازيلاكس قتل أثر هذه المعركة . وسندحض هذا القول فيما بعد . انظر حاشية رقم ٨٠ . انظر أيضا :

Matthieu d'Edesse, ch, CIII, pp. 168-169.

(٧٦) ذكر كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز أن رومانوس لم يقتنع بمبررات وتفسيرات بازيلاكس وشك فى أن مرتكب هذه المذبحة هو أحد قادة السلطان السلجوقى . انظر :

Attaliate, pp. 153-154;

Skylitzès Continué, p. 145.

(٧٧) Bryennios, tr. Gautier, I ch. XIV, p. 108; tr. H. Grégoire, p. 289.

(٧٨) الملاحظ أن برينيوس نقل الاسطر الستة السابقة عن بسللوس .
قارن
Nicephore Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIV, p. 109,
ligne 24 et p. 111. lignes de 1 a 5 مع
Psellos, II, p. 161.

(٧٩) بدراسة تحليلية مقارنة لرواية برينيوس مع رواية كل من اطاالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز نلاحظ أن برينيوس زيف الاحداث ، وشابت حول روايته الشبهات ، اذ انحاز الى جانب جده القائد نقفور برينيوس ، وحاول جاهدا أن يبعدعنه كل الشبهات التى تسىء الى سمعته كقائد عسكرى عظيم فاستنادا الى رواية كل من اطاالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز يمكن تصحيح رواية برينيوس كالآتى : « أرسل القائد نقفور برينيوس لقتال كتيبة سلجوقية بقيادة صندق ، لكنه لم يوفق فى عملياته الحربية ، فمنى جيشه بهزيمة ساحقة وجرح هو أيضا اثناء القتال ، فأسرع بطلب نجدات من العاهل البيزنطى ، فأرسل اليه نقفور بازيلاكس وبصحبته كتيبة بيزنطية كبيرة . فانقض بازيلاكس على الاتراك السلاجقة انقضاضا ، ونجح فى اجبارهم على الفرار . الا أن برينيوس سلك مسلكا سلبيا ، اذ لم يزحف بجيشه فى ركاب جيش بازيلاكس ليقاتلا معا الاتراك السلاجقة . وبذلك تخاذل عن قتال الاعداء السلاجقة ، ونجدة بازيلاكس ، رفيقه فى السلاح » (انظر :
Attaliate, p. 154-155; Skylitzès Continué, pp. 145-146.

(٨٠) سقط بازيلاكس من أعلى فرسه بالقرب من معسكر الاعداء ،

فأسره الاتراك السلاجقة ، واقتيد الى السلطان الب ارسلان . ولقد أجمعت المصادر البيزنطيـــة أن العاهل السلجوقى عامله معاملة حسنة ، كما عامل فيما بعـــد أسيره الامبراطور البيزنطى رومانوس (انظر :

Attaliate, p. 155, Skylitzès Continué, p. 146; âonoras, p; 698.

انظر أيضا حاشية رقم ٧٥) . ويؤخذ على متى الرهاوى قوله ان بازيلاكس لقى حتفه أثناء هذه المعركة (انظر :

Matthieu d'Edesse, pp. 168-169.

انظر أيضا حاشية رقم ٧٥) . وقد أخطـــأ فى قوله هذا ، اذ أن بازيلاكس . ثار فيما بعد على الامبراطور ميخائيل السابع (لمزيد من التفاصيل انظر :

Bryennios, tr. Gautier, IV, ch. XVIII, p. 284; ch. XIX, p. 286 ch, XXIII, p. 290; ch, XXIV, pp. 290-292; ch. XXVI, pp. 292-294; Ch. XXVII, pp. 284-286; ch, XXVIII, p. 296; Attaliate, pp. 298-299; Skylitzès Continué, p. 182; Zonoras, p. 723; Alexiade, I, p. 31 et suiv, Cf. Lemerle, Le Typikon de Gregoire Pakourianos, p. 167; Laurent, Byzance et les Turcs Seldjoucides, p. 62, n. 3.

(٨١) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XV, pp. 110-112; tr. H. Grégoire, pp. 490-491.

(٨٢) تعمد برينيوس خلط الاحداث رأسا على عقب ، اذ أن بازيلاكس هو الذى ذهب لنجدة برينيوس وليس العكس . (انظر حاشية

رقم ٤٧) . من هذا تتضح أهمية الدراسة المقارنة بين مصنف برينيوس وبين غيره من المصادر ، فالهدف من ذلك الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة ، البعيدة عن الانحياز والضغوط والاهواء الشخصية . وهى غاية سامية ينبغى أن يتحلى بها كل باحث .

(٨٣) تذكر المصادر البيزنطية أن الامبراطور البيزنطى لم يسارع بارسال بازيلاكس وجيشه لنجدة برينيوس ، بل تأخر فى نجدته .
Attaliate, pp. 154-155; Skylitzès Continué, pp. 145-146; Zonoras. pp. 697-198.

(٨٤) **Bryennios, tr. Gautier, ch. XV, pp. 110-111; tr, H. Grégoire, p. 490.**

(٨٥) تذكر المصادر البيزنطيـة أنه فى نفس يوم أسر بازيلاكس ، خرج الامبراطور البيزنطى من معسكره وبصحبته كل جيوشه ، واستقر على احدى التلال منتظرا هجوم الاتراك السلاجقة ، وبمجىء المساء ، لم يظهر السلاجقة على مسرح القتال ، فاعاد رومانوس جيوشه الى معسكره . لكن ما لبث أن قام السلاجقة بهجمات مفاجئة خلال ليل بلا قمر ، فى حين أن البيزنطيين ظلوا تحت السلاح . الا أنهم فشلوا فى تمييز العدو من الصديق بسبب الظلام الدامس . انظر :
Attaliate, pp. 155-157; Skylitzès Continué, p. 146; Zonoras, pp. 698-699.

(٨٦) **Bryennios, tr. Gautier, ch, XV, pp. 112-113; tr. H. Grégoire, pp. 490-491.**

(٨٧) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XVI, pp. 112-115; tr. H. Grégoire, p. 491.

(٨٨) تذكر المصادر البيزنطية أنه فى الصباح الباكر من يوم معـــركة ملاذكرد انسحبت كتيبة « الغـــز » بقيادة البشناك « طاميس » «Tamis» من صفوف الجيش البيزنطى ، وانضمت الى صفوف أبناء عمومتهم الاتراك السلاجقة ، مما سبب ارتباكا بالغـــا فى صفوف الجيش البيزنطى . وكان لهذه الخيانة آثارها الوخيمـــة على معنويات ونفسية العاهل البيزنطى ، فشك فى ولاء باقى عناصر الجيش من المرتزقة (للتفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 156-158; Skylitzès continué, p. 147; Zonoras, p. 699.

والملاحظ أن برينيوس مر على هذه الحادثة مر الكرام ، ربما لقلة عدد الغز . وقد اخطأ كل من أريستاكيس وجروسيه حين قالا ان الغز انضموا الى صفوف الاتراك السلاجقة اثناء المعركة وليس قبلها (انظر :

Aristakes, tr. Canard, ch. XXV, p. 126. Cf. Grousset, Histoire de l'Arménie, p. 628.

اما كلود كاهن ، فقد ذكر أن خيانة الغز تمت فى ليلة الاربعـــاء أو الخميس (انظر :

Cahen, Mantzikert, p. 633.

فى حين ان الدكتورة اسمت ذكرت أن انسحاب الغز تم قبل بداية المعركة بساعات فى ليلة الجمعة عند منتصف الليل تماما . وأوردت نصا باللغة اللاتينية نقلا عن زونوراس لم تترجمه الى العربية ، علما بأن النص الذى استندت اليه يتفق مع ما اوردته فزونوراس

يقول :

«Hoc Modo nocte illa exacta, mane uzorum quaedam cohors ad Turcos tranfugit»

وترجمته « وبهذه الطريقة ، وفى الصباح الباكر من هذه الليلة ، لاذت كتيبة من الغز Uzorum بالفرار ، وانضمت الى الاتراك » . انظر Zonoras, p. 699.) انظر أيضا اسمت غنيم : معركة منزيكرت فى ضوء وثائق بسيللوس ، ص٢٢٤) .

ورغم أن كلود كاهن خصص مقالته عن « معركة منزيكرت فى ضوء المصادر الاسلامية » الا أنه يؤخذ عليه قوله « يبدو ان الغز كانوا قلة ضئيلة جدا حتى ان لا احد من مؤرخي المسلمين ذكر عددهم » . الا ان ابن الجوزى ذكر ذلك صراحة حين قال « وكان معه (اى ملك الروم) خمسة عشر الف من الغز الذين من وراء القسطنطينية » . (انظر : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١) . ويبدو أن العيني نقل عن ابن الجوزى ، اذ اورد فى مخطوطه « من الغز الذين وراء القسطنطينية خمسة عشر الفا » . (انظر عقد الجمان ، احداث ٤٦٣هـ ورقة ٢٦٤) . على اية حال ، لم تكن دوافع هذه الخيانة استجابة الغز لنداء رابطة الدم فحسب كما اوردت غالبية المراجع ، بل ان هناك عوامل أخرى لا تقل اهمية عن العامل الاول ، منها ان هؤلاء المرتزقة لم يتقاضوا اجورهم المتأخرة . والاهم من هذا وذاك ما ذكره جيوم الابولى Guillaume d'Apulie

الذي كتب مصدره بعد حوالى ثلاثين عاما من معركة ملاذ كرد ، ذكر ان الجنود المرتزقة استولوا على ما فى المعسكر البيزنطى من

اموال ، ولاذوا بالفرار ، منضمين بطبيعة الحال الى صفوف اعداء الامبراطورية البيزنطية . (انظر :

Les Gesta Roberti wiscardi de Guillaume d'Apulie, tr. M. Mathieu, Byzantion, t. XX, 1950, p. 91, vers 42.

ولقد برع المؤرخ الارمنى اريستاكيس فى تصوير رد فعـــل هذه الخيانة على المعسكر البيزنطى والسلجوقى ، وقلبهـــا لموازين القوى راسا على عقب ، اذ قال : « انضمت الى صفوف الاتراك السلاجقة كتيبـــة بيزنطية هامة ، فخـــانت بذلك الامبراطور البيزنطى ، وعمت الفوضى والارتباك فى صفوف جيشه . وبذلك دب الخوف والذعر والشلل فى حركته وتحركاته » (انظر :

Aristakès, tr. Canard, p. 126

فى حين أن الاتراك السلاجقة ازدادوا شجاعة « فكانوا ينقضون على جيوش الروم بضراوة لا نظير لها » . انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 126

(٨٩) تذكر المصادر البيزنطية ان الامبراطور البيزنطى كان قد سبق أن أرسل لحصـــار خلاط كل من روسل بايللول ومعـــه قوات من البشناك والفـــرنج Francs وكذلك جوزيف ترخانيـــوتس وبصحبته جيش هائل العدد . لكن القائدين ، وخاصة جوزيف ترخانيوتس عبرا بلاد الجزيرة ، وانسحبا الى الاراضى البيزنطية وذلك فور علمهما بان السلطان السلجوقى سيهاجم الامبراطور البيزنطى . ويذكر اطاليطس — المؤرخ المنخـــرط فى صفـــوف الجيش البيزنطى — ان رومانوس انتظر بقلق ولهفة وصـــول

الامدادات الآتيـــة من خلاط ، وذلك لمدة ثلاثة أيام ، لكن خابت آماله . (انظر

Attaliate, p. 158; Skylitzes Continué, p. 147; Zonoras, p. 699.

ويؤخذ على جروسيه قوله ان القائد نقفـــور برينيوس (وليس جوزيف ترخانيوتس) وروســـل بايللول لاذا بالفـــرار الى بلاد الجزيرة . (انظر :

Grousset, Arménie, p. 628.

ويؤخذ على الدكتورة أسمت قولهـــا أن قوات روســـل بايللول انتصرت على الفرنج دون البشناك . وقولها ايضـــا أن قوات روسل بايللول رفضت الانسحاب من امام خلاط . (انظر معركة منزيكرت ص٢٥٥) .

(٩٠) اختلف برينيوس فى تحليله هذا مع كل من اطالياطس وبسللوس . فبينما يرى برينيوس أن المستشارين المتملقين كانوا سببا فى كارثة ملاذكـــرد ، يرى كل من اطاليـــاطس وبسللوس أن سبب هذه المصيبة التى حلت بدولة الروم هو جهل رومانوس بفنون الحرب والقتال ، مستندين فى ذلك الى الخطأ الجسيم الذى ارتكبه عندما قام بتقسيم جيشه وتشتيت الكثير منه هنا وهناك بدلا من خوض غمار الحرب صفا واحدا متراصا . (انظر :

Attaliate, p. 148; Psellos, II, pp. 161-162.

الا أن اريستاكيس رونا برأى شديد الغرابة ، ينبغى تقبله بحذر ، ومفاده أن العاهل البيزنطى أراد الانفراد بالنصر دون القسم الثانى من جيشه ، اذ قال فى مصنفه « وصل الامبراطور البيزنطى الى ثيودوسيوبوليس ، حيث تفقد تشكيلات فرســـانه .

ولم ينتظر انضمام بقية جيشه الى صفوفه ، بل ولم يسمح لكتائبه بالتوقف والراحة . فاذا حدث ذلك ، لكان جيشه قد ازداد شجاعة ، ولخاض أحسن المعارك الحربية . فكثرته العددية كان بامكانها أن تبعث الرعب والفزع فى قلوب الأعداء السلاجقة » . (انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 125; Guillaume d'Apulie, pp. 90-91.

لكن الامبراطور البيزنطى « طمع فى الانفراد بالنصر دون القسم الثانى من جيشه » . . (انظر :

Aristakes, ch. XXV, p. 126.

ثم ينتقل بنا أريستاكيس بمهارة المؤرخ البارع الى المعسكر السلجوقى ، وموقف السلطان ألب ارسلان من هذه التطورات الحربية ، اذ يقول : « كان من نتيجة ذلك ، ان دب القلق فى معسكر السلطان السلجوقى ، الذى بدوره قرر خوض غمار القتال فى الحال ، خوفا من وصول بقية كتائب الجيش البيزنطى وانضمامها الى جيش الامبراطورية . فأصدر العاهل السلجوقى أوامره الى جيشه بالاستعداد للهجوم . ازاء ذلك ، اضطر الجيش البيزنطى وعلى غير ارادته ، الى الاستعداد لقتال السلاجقة » . انظر :

Aristakès, tr. Canard, XXV, p. 126

Bryennios, tr. Gautier, I, XXVI, pp. 112-113; tr. H. Gré- goire, p. 491.

(٩٢) أضاف متى الرهاوى أن قائدين أرمنيين الاول يدعى « خطب »

Khatap والثـانى يـدعى « فازيـلاك » Vasilak

قد لقيا حتفهما فى هذه المعركة . (انظر

Matthieu d'Edesse, CIII, pp. 168-169,

الا أن المصادر البيزنطية ذكرت أن « فازيلاك » اسر ولم يقتل .

أنظر

Skylitzès Continué, p. 146.

(٩٣) بعد كارثة ملاذكرد ، ظل ثيودور الياتس Théodore Alyatès

مخلصا لسيده الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع ، وانتهى

به الامر بالقبض عليـه سنة ١٠٧٢م/٤٦٤هـ ، وتم سمل عينيه

بأوامر من قسطنطين دوقاس . لمزيد من التفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 170-172; Zonoras, p. 705.

Skylitzès Continué, p. 153; Bryennios, tr, H. Grégoire, p. 491, n. 2.

(٩٤) كان الخطأ الاول لكل من جروسيه وكلود كاهن ان اسندا قيادة

المؤخرة المشكلة من القوات الاحتياطية الى اندرونيك ابن العاهل

البيزنطى على حد زعمهما . وصحة ذلك ، ان قيـادة المؤخرة

أسندت الى اندرونيك دوقاس ، وهو الابن الاكبر للقيصر حنـا

دوقاس ، وابن عم أمبراطور المستقبل ميخائيـل دوقاس .

Bryennios, tr, H. Grégoire, p. 491. n. 3. Cf. Polemis, The Doukai, A Contribution to the Byzantine Prosography, Londres, 1968, pp. 55-59; Lemerle, Byzance au Tournant de son destin, dans Cinq Etudes sur le XIe siecle Byzantin, Paris, 1977, art. V, p. 296.

اما الخطأ الثانى لكليهما ، هو ذكرهما ان ميخائيل دوقاس قائد

القوات الاحتياطية ، أشاع بين صفوف الجند خبر وفاة الامبراطور البيزنطى رومانوس . وصحة ذلك أن الذى قام ببث هذا الخبر هو اندرونيك دوقاس وليس ميخائيل دوقاس (انظر :

Cahen, Mantzikert, pp. 634-635; Grousset, Arménie, p. 628.

وللتأكد من صحة ذلك انظر :

Attaliate, pp. 161-162; Skylitzès Continué, pp. 148-149; Zonoras, p. 701.

اما الدكتورة اسمت ، فقد اغفلت فى مقالها عن ملاذكرد تقسيمات الجيش البيزنطى الى مقدمة وجناح أيسر ، وايمن ومؤخرة وقلب . بل اخطأت حين أسندت قيادة الفرق البيزنطية الى اندرونيك دوقاس الذى لم يكن الا قائدا للمؤخرة المشكلة من القوات الاحتياطية . ومن عجيب الأمور أنها استندت فى قولها هذا الى كل من اطاليطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز وزونوراس الذين ذكروا صراحة ان اندرونيك دوقاس لم يكن الا قائدا لمؤخرة الجيش البيزنطى . (انظر الدكتورة اسمت غنيم : معركة منزيكرت ، ص٢٢٥ . وقارنه مع

Attaliate, p. 157; Skylitzés Continué, pp. 148-149; Zonoras, p. 701.

(٩٥) Bryennios, tr. Gautier, ch. XVI, pp. 114-115; tr. H. Grégoire, p. 491. Cf Lot, L'Art Militaire et les Armées au Moyen Age, Paris, 1946, I, pp. 71-72.

والجدير بالذكر ان متى الرهاوي زودنا بتوزيع العناصر على التشكيلات الحربية ، اذ ذكر ان الامبراطور البيزنطى وضع قبائل

الغز في الجناح الايمن ، أي تحت قيادة الياتس ، وقبائل البشناك في الجناح الايسر ، اي تحت قيادة نقفور برينيوس . اما بقيـة العناصر ، فقد وزعت على الوسط والمقدمة والمؤخرة . ويواصل متى الرهاوى روايته قائلا أن الغز والبشناك تخليا عن مواقعهما وانضما الى الاتراك السلاجقة (انظر :

Matthieu d'Edesse, CIII, p. 169.

وبذلك حرم الجيش البيزنطي من رماة السهام المهرة من راكبي الخيول . فتعرض قلب الجيش بقيادة رومانوس للاندحار أمام وابل سهام الاتراك السلاجقة . اضف الى ذلك ان هذه الخيانة سببت بلبلة كبيرة في صفوف الجيش البيزنطي ، وزاد الطين بلة ، سريان اشاعة اطلقها اندرونيك دوقاس — عدو رومانوس اللدود مفادها ان العاهل البيزنطي لقى حتفه في ساحة القتال . وبذلك أصبح الجيش البيزنطي بين شقى الرحى .

(٤٦) Bryennios, tr. Gautier, I, XVII, pp. 114-119, ; tr. H. Grégoire, pp. 492-493.

(٤٧) هناك اختلاف في ترجمة هذه الفقرة بين هنرى جريجـوار وبون جوتييه . وتدصحح جوتييه في تحقيقه الثاني لمصنف نقفور برينيوس الترجمة الخاطئة لجريجوار . وقد اخذنا بترجمة جوتييه . انظر :

Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XVII, pp. 114 et 114-115, n. 6.

وقارنة مع

Bryennios, tr. H. Grégoire, p. 492.

(٤٨) اجمعت المصادر البيزنطية انه اثناء اعداد ألب أرسلان لخطـة

قتال البيزنطيين ، قام بارسال سفارة سلام برئاسة مبعوث من قبل الخليفة العباسي . لكن رومانوس رفض مقترحات السلام بغطرسة كما سبق أن أوضحنا . انظر :

Attaliate, pp. 159-160; Skylitzès Continué, pp. 147-148; Zonoras, pp. 699-700.

انظر أيضا حاشية رقم ٧٠ .

(٩٩) انفرد برينيوس دون غيره من المصادر بذكر اسم هذا القائد التركى

(١٠٠) عن أحوال المعسكر البيزنطى آنذاك ، والاخطار المحدقة ، وحالة الرعب المتفشية بين الجند ، زودنا المؤرخ البيزنطى اطالياطس الذى شارك فى نسج خيوط هزيمة ملاذكرد ، برواية حيوية بالغة الاهمية . اذ قال : « اطلق السلاجقة الصيحات المدوية ، وقاموا بمحاصرة السكيث Scythes من الخلف ، وكان هؤلاء خارج المعسكر البيزنطى . ثم انقضوا على بائعى المؤن فانتشر الرعب والفزع فى قلوب الجميع ، بسبب صيحاتهم المدوية، وسهامهم المتلاحقة المتطايرة . وراح ضحية هجومهم هذا أعداد هائلة من القتلى . أما الذين واجهوا هذا الهجوم الشرس ، فقد سيطر عليهم الخوف والهلع ، ولاذوا بالفرار باحثين عن ملجأ لهم فى أعماق المعسكر البيزنطى . وكان من الطبيعى نتيجة اندفاعهم الواحد تلو الآخر كما يحدث عادة للجند المطاردين من قبل الاعداء ، أن يؤثروا تأثيرا بالغا على الروح المعنوية للجنود المتواجدين وراء الاسوار . فاعتقد هؤلاء أن السلاجقة اجتاحوا المعسكر ، اذ تسللوا اليه فى ركاب الجنود الفارين ، وانهم

استولوا عليه بكامله ، بما فيه من أمتعة ، حقا ، كان ليلادامسا لم يظهر له قمر ، وكان من الصعب التمييز بين المطاردين والفارين . وبذلك ضعف التفريق بين العدو والصديق . وينبغى أن لا يغرب عن أذهاننا ان المرتزقة السكيث كانوا يشبهون تماما الاتراك السلاجقة . وبذلك استحال معرفة هوية المهاجمين للتشابه الكبير بين السكيث والسلاجقة ، وهكذا ، ساد الرعب الذى لا مثيل له من قبل ربوع المعسكر وزاد من هذا الرعب سماع أصوات كريهة ومقلقة ، وصيحات مدوية مبهمة . وبدا كل شىء صاخبا ومحفوفا بأخطار الموت .... ولكن على الرغم من أن البيزنطيين كانوا فى حالة لا يحسدون عليها نتيجة الاخطار المحدقة بهم الا أن السلاجقة لم يتمكنوا من التسلل الى داخل أسوار المعسكر ، اذ ان التوقيت كان غير مناسب للقيام بمثل هذا العمل خاصة فى الظلام الدامس لذا اتخذوا جانب الحذر ، واتفق الجميع على التزام مكانه وعدم التقهقر الى الخلف . لكن طوال الليل ، استخدم السلاجقة سلاح الحرب النفسية ضد البيزنطيين ، اذ أحاطوا المعسكر البيزنطى بأصواتهم المدوية ، وأخذوا يطوفون حوله وهم ممتطون صهوة خيولهم . ولم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يطلقون سهامهم فى كل اتجاه . ولقد أفقدت صيحاتهم المدوية الجيش البيزنطى حاسة السمع ، وأحاطوه بالرعب والهلع ، حتى أن الجنود لم يغمض لهم جفن طوال الليل ، اذ ظلوا فى يقظة وحذر نتيجة الاخطار المحدقة بهم . وبذلك ساد الارق والقلق والخوف والرعب ربوع المعسكر البيزنطى ، وكانت هذه الاخطار بمثابة سيف مسلل مستعد للذبح فى أى لحظة (انظر :

Attaliate, pp. 156-157.

ولقد نوه ابن العديم فى لمحة خاطفة عما ساد المعسكر البيزنطى

من قلق بقوله : « وباتوا ليلتهم فى أعظم قلق واشده » انظر : زبدة الحلب جـ٢ ، ص٣٦ .

(١٠١) زودنا جيـوم الابولى Guillaume d'Apulie فى مصـدره « أعمال روبرت جويسكار «Gesta Roberi Wiscardi» الذى كتبه بعد حوالى ثلاثين عام من معركة ملاذكرد ، بوصف خيـالى بليغ لهذه الاحداث فى بيتى الشعر رقم ٤٤ و ٤٥ بقوله « تطايرت السهام فى الهواء وكأن السماء تمطر مطرا منهمرا » (انظر :

Gesta Roberti, p, 91, vers 44-45.

والجدير بالملاحظـة ان الحولية الشعرية لجيـوم الابولى عن ملاذكرد تشابهت الى حد كبير مع رواية اطالياطس ، اضـافة الى استفادته من أقوال بعض الجنود النرمان الذين شاركوا فى هزيمة ملاذكرد . وكان جيوم يجيد اليونانية ، لذا استفاد أيضا من بعض المصادر البيزنطية الاخرى (انظر Gesta, p. 103 وتفوح من روايته التاريخية ، منـاصرته للامبراطور البيزنطى رومانوس ، كما كان حال اطالياطس . ويتضح ذلك من قوله : « كان الامبراطور البيزنطى أكثر اهتماما وحرصـا على أرواح جنوده ، تماما كحرصه على شخصه » . (انظر :

Gesta, p. 91, vers, 34.

ونستنتج من ذلك انه استمد هذه الرواية نقـلا عن احد مؤيدى رومانوس .

(١٠٢) زودنا ميخائيل السريانى برواية غريبة ، تتنافى بطبيعة الحـال مع ما أورده كل من اريستاكيس اللاستيفرتى ومتى الرهاوى . إذ نسبا كارثة ملاذكرد الى الارمن بسبب انسحابهم من سـاحة القتال فقال : « تمسك الارمن بهرطقتهم الدينية (اى مبدا الطبيعة

الواحدة ، ومعارضة مقررات مجمع خلقدونية الكنسى سنة ٤٥١م) ، وكانوا ول من لاذ بالفرار من ميدان القتال . ونتج عن ذلك انتصار السلاجقة على الجيش البيزنطي » (انظر :

Michel le Syrien, livre XV, ch. III, p. 169.

وفى قوله هذا بعض من الصحة ، مع الاخذ فى الاعتبار ان الوحدة الارمنية لا وزن لها فى الجيش الهائل الذى حشده رومانوس لخوض هذه الحرب الفاصلة . الا ان انسحاب الارمن من ساحة القتال ، ساهم بنصيب فى سحق الجيش البيزنطى نتيجة ما احدثه من خلل فى الصفوف ، ولكن انسحابهم لم يكن السبب الاساسى فى الهزيمة . ويؤيد رأينا هذا ان اطالياطس الذى شارك فى معركة ملاذكرد اشار الى انسحاب الكتيبة الارمنية (انظر :

(Attaliate, p. 158.

أضف الى ذلك ما أوضحه متى الرهاوى عند حديثه عن العلاقات بين البيزنطيين والارمن قبيل معركة ملاذكرد . اذ ذكر ان رومانوس أقسم انه سيفنى الامة الارمنية ومذهبها ، بل وقام جنوده باقامة مذبحة للارمن فى سيواس (للتفاصيل المطولة انظر حاشية رقم ٥٦) . وبذلك كان انسحاب الارمن بمثابة الاخذ بالثأر من عدوهم اللدود رومانوس . على اية حال ، كان من الطبيعى أن يدافع المؤرخ الارمنى اريستاكيس وكذا متى الرهاوى ــ الذى سبق ان أظهر بوضوح بالغ الحقد والضغينة بين الطرفين ــ عن دور الارمن فى معركة ملاذكرد ، فحاولا اظهار بنى جنسهم فى مثالية الابطال المخلصين . فلقد أبرز اريستاكيس بوضوح دور الارمن فى ملاذكرد ، وطبيعة العلاقات بينهم وبين الامبراطور البيزنطى والتى تقلبت بين الجفاء والعداء ، فأظهر حقد

رومانوس على الكتيبة الارمنية في أول الأمر ، ثم تبدل هذه النظرة العدائيـــة بسبب شجاعتهم وبسالتهم في القتـــال ، فيقـــول :
« بلا سبب حقيقي أو ظاهري ، حنق الامبراطور البيزنطي على الكتيبة الارمنية بل وعلى كل الامة الارمنية ، ونظـــر الى الارمن جيشا وشعبا باحتقار . لكن شجاعة مقاتلي الارمن جذبت انتباهه، اذ اثبتوا صمودهم وشجاعتهم في مواجهة رماة السهام الفرس، ولم يديروا لهم ظهورهم على الرغم من أن كثيرا من الارمن كان يكن العـــداء والكره للامبراطور البيزنطي ومع ذلك لم يخنه الجيش الارمني، وقبل افراده الموت عن طيب خاطر هادفين من ذلك الاستشهاد حتى تظل ذكرى اخلاصهم وبسالتهم خالدة على مر العصور . حينئذ تبدل موقف الامبراطور البيزنطي ، وعبر عن مودته وتقديره لهم ، وعرفانه بالجميل ، ووعدهم بمكافآت سخية . (انظـــر
Aristakès, tr. Canard, ch, XXV, p. 126, Arisdagues, tr. Prud'homme, ch. XXV, p. 144; Matthieu d'Edesse, ch. CIII, p. 169.

(١٠٣) انفرد جيوم الابولي دون غيره من المصادر البيزنطية والاسلامية والارمنية بذكر تفشي المجـــاعة في ربوع المعســـكر البيزنطي ، واستعدادات رومانوس لبذل قصارى جهده للحفاظ على أرواح جيشه اذ قال : « بعد أن شعر رومانوس بفشله في حماية معسكره من السقوط في قبضة الاتراك السلاجقة (انظر :
Gesta, p. 91, vers 33.

وبعد أن وجد جنوده قد أهلكتهم الحرب والمجاعة (انظر :
Gesta, p. 91, vers 35.

اصـــدر اوامره باظهـــار ونشر المال والملابس الثمينة والاواني

الذهبية والفضية فى ربوع المعسكر ، اذ فور سقوطه ، سينشغل الاتراك السلاجقة بالمنهوبات والغنائم أكثر من انشغالهم باقامة المذابح للبيزنطيين (انظر

Gesta, p. 91, vers 36-41.

الا أن الجنــود المرتزقة اســتولوا على المال ، ولاذوا بالفــرار
Gesta, p. 91, vers 42.

وبذلك تمكن الداهية البيزنطى من انقاذ حياة الكثيرين ، اذ عقب سقوط معسكره : « انشغل السلاجقة بجمــع الغنائم أكثر من انشغالهم بقتل جنود الروم ، فأفلت من قبضتهم اعداد هائلة » .

Gesta, p. 91, vers 47-49. ومما يذكر أن كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز اشارا الى أن وحدة من السكيث انضمت الى صفوف السلاجقة لكنهما لم يذكرا شيئا عن عمليــة سرقة الاموال والكنوز . وقد أدرج اطالياطس هذا الحــادث فى اليوم التالى لليلة التى عم فيها الارق ربوع المعسكر البيزنطى : وليس قبلها كما اشار الى ذلك جيوم الابولى . انظر :

Attaliate, p. 157;

Skylitzès Continué, p. 147.

(١٠٤) تذكر المصادر البيزنطية انه بمجيء المساء ، اعتقد رومانوس ان الاتراك السلاجقة سوف لا يخوضون غمار القتال . لذا قرر ايقاف عملياته الحربية قبــل اسدال الليل . ولابلاغ ذلك الى جيشه الجرار اصدر أوامره باعادة الراية الامبراطورية الى المعسكر. لكن هذه الاشارة أسيء فهمها وتفسيرها ، اذ إعتقد الجميع أن الإمبراطور إما هزم أو توفى . فعمت الفوضى العــــارمة ربوع المعسكر البيزنطي . وانتهز السلاجقة تلك الفرصــة المواتيــة

لينقضوا على الجيوش البيزنطيـة المنسحبة . ويتهم المؤرخون البيزنطيـون اندرونيك دوقاس بأنه اشـاع هزيمة الامبراطور البيزنطي وانه اسرع بالانسحاب من ساحة القتال . (انظـر :

Attaliate, pp. 161-162; Skylitzès Continué. pp. 148-149; Zonoras, p. 701.

والملاحظ أن برينيوس لم يلصق هذا الاتهام لاندرونيك دوقاس ، لانه يمت بصلة قرابة لأسرته لذلك عمل على ابعاد كل الشبهات عن آل دوقاس ، كما فعل تماما مع جده نقفور برينيوس ورفيق جده فى السلاح القائد جوزيف ترخانيوتس .

(١٠٥) Byennios, tr. Gautier, I, XVII, pp. 114-117; tr. H. Grégoire, p. 492.

(١٠٦) اعترف المؤرخ ميخائيل السريانى بشجاعة الامبراطور البيزنطى وبسالته فى معركة ملاذكرد اذ قال : « امتاز الامبراطور البيزنطى بالشجاعة والبسالة . فبالرغم من انفضاض الجميع من حوله بما فيهم قادة الجيش والكتيبة الارمنية ، ظل يقاتل بشخصه القوات السلجوقية » . انظر :

Michel le Syrien livre XV, ch. III, p. 169.

(١٠٧) اجمعت المصادر البيزنطية على أن رومانوس قاتل الاتراك السلاجقة بشجاعة وبسالة . كذلك سلط اريستاكيس الاضواء الساطعة على رومانوس ، واظهره بمظهر البطل الاسطورى ، فتحدث عن موقفه بعد انضمام الغزالى اعدائه السلاجقة ، وكيفية معالجته للخلل الذى دب فى صفوف جيشه . وألقى الضوء على شجاعة الامبراطور فى تقبل المخاطر ، وانخراطه بشخصه فى صفوف

جيشه ، فيقول اريستاكيس في هذا الصدد : « اما الامبراطور البيزنطي ، فقد القى ببصره على الاعداء ، فرأى ان جزءا من جيوشه قد لاذ بالفرار . فارتدى في الحال ملابسه العسكرية ، وتصالح لحسن تسليح ، وانطلق كالبرق الى ساحة الوغى . واستطاع ان يقتل العديد من قادة الاتراك السلاجقة ، فنشر الذعر في صفوفهم » (انظر

(Aristakes, tr. Canard, XXV, p. 126.

ولقد ذكر أطالياطس ان السلطان السلجوقي لم يتمكن من التعرف على الامبراطور البيزنطي ، لأن ملابسه العسكرية كانت تشبه تماما ملابس الجندي البيزنطي العادي (انظر :

Attaliate, p. 164.

الا ان هذه الرواية تتعارض مع رواية كل من بسيللوس وجيوم الابولي . فيذكر بسيللوس ان رومانوس ارتدى ملابسه الامبراطورية ، وكان مستعدا بكل أسلحته (انظر :

Psellos, II, p. 162.

اما جيوم الابولي ، فقد كان اكثر اسهابا من بسيللوس اذ أورد : « ان زعيم الروم كان واضحا للعيان بعلامات النسر المشرقة الساطعة بريتها دون كل الاسلحة ، اذ كانت مرصعة بالذهب على درعه » (انظر :

Gesta, p. 91, vers 50-52.

وبدراسة مقارنة مع المصادر الاسلامية نلاحظ ان رواية اطالياطس هي الصحيحة ، ذلك لأن الغلام الذي أسر رومانوس لم يتعرف

عليه . ففى هذا يقــول سبط بن الجوزى : « واستدعى (اى السلطان) الغلام ، وسأله كيف أسرته ، فقال : رأيت فارســا وعلى رأسه صلبــان ، وحوله جمــاعة من الخدم الصقالبة . فحملت عليه لأطعنه ، فقال لى واحد منهم لا تفعل فهــذا الملك » (انظر ،رآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٤ ــ ٣٧٥) . العينى عقد الجمان ، احداث سنة ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٦) . كذلك يجب ان نضع فى اعتبــارنا ان اطالياطس شارك بشخصه فى معــركة ملاذكرد ، وتكاد تكون روايته عنها تحتل مركز الصدارة :

(١٠٨) نلاحظ أن برينيوس نقل الخمسة أسطر السابقة عن بسيللوس . انظر

Bryennios, tr. Gautier, I, XVII, p. 117, lignes 15-20.

وقارنه مع Psellos, II, pp. 162-168.

انظر ايضا :

Gesta, pp. 91-92, vers 50-56.

(١٠٩) للتفاصيل عن كيفيــة أسر الامبراطور رومانوس انظــر سبط ابن الجــوزى : مــرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٤ ــ ٣٧٥ ، العينى : عقــد الجمان ، احداث ســنة ٤٦٣ ، ورقة ٢٦٦ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١١٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٨ . انظر ايضا :

Aristakès, tr. Canard, XXV, p. 127; Michel le Syrien, III, p. 169.

ولقد أخطأ المؤرخ النورمانى ايمى المونت كاسانى Aimé du

Mont Cassin حين قال ان الاتراك السلاجقة أسروا رومانوس وروسيل بايللول وكل فرسانهما . فنص روايته بالفرنسية القديمة الآتى :

«Mes, pour lo juste de Dieu, li Turc orent la victoire et fu grand mortalite de Chretiens. Et Auguste et Urselle furent prison. Et ensi ces. II., O tout lor chevaliers furent menez en prison».

انظر

Storia de Normanni di Amato de Montecassino volgarizzata in antico francese, a cura di Vicenzo De Bartholomaeis, Istituto Storico Italiano per il Medio Evo, Fonti per la Storia d'Italia, Roma, 1935, I, 9.

(١١٠) اشار ايمى المونت كاسانى Aime du Mont-Cassin الى حسن معاملة السلطان السلجوقى لاسيره بقوله :

Et de lo Duc de li Turc furent

(صيغة الجمع لانه كان يقصد رومانوس وبايللول)

honorablement Receiiz انظر Storia de Normanni, I. 9.

وقد اجمعت كافة المصادر على ذلك . للتفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 163-166; Skylitzès Continué, pp. 150-152; Zonoras, pp. 701-703; Psellos, II, p. 164; Gesta. p. 92, vers 58-59; Aristakès, tr. Canard, XXV, p. 127.

انظر ايضا سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٥ — ٣٧٦ ، العينى : عقد الجمان ، احداث ٤٦٣هـ ورقة ٣٦٧ .

(١١١) اختلفت المصادر فى تحديدها تاريخ معركة ملاذكرد ، فادرجها البعض تحت احداث يوم الجمعة ١٩ اغسطس سنة ١٠٧١م/٧ ذى القعدة سنة ٤٦٣هـ . اما البعض الآخر فادرجها يوم الجمعة ٢٦ اغسطس سنة ١٠٧١م/١٤ ذى القعدة سنة ٤٦٣هـ . والراى الثانى هو الاصوب ، اذ أن مؤرخا بيزنطيا معاصرا يدعى اثينسيسى Atheniensis ادرجها تحت هذا التاريخ وقد خلص الى ذلك بول جوتييه احدث من قام بتحقيق وترجمة حولية برينيوس الى الفرنسية . انظر :

Bryennios, tr. Gautier, p. 117, n. 9. Cf. Grousset, Arménie, p. 628; Laurent, Byzance et les Turcs Seldjoucides, p. 43, n. 10; Honigmann, Ostgrenze,, p. 190.

(١١٢) عن بعض اسماء القتلى والاسرى انظر :
Attaliate, p. 167; Skylitzès Continué, p. 152.

(١١٣) كان المؤرخ البيزنطى اطالياطس من بين الذين لاذوا بالفرار من ساحة الوغى . وعلم وهو فى طرابيزون بنبأ اطلاق سراح رومانوس . انظر :

Attaliate, p. 167.

(١١٤) Bryennios, tr. Gautier, I, XVII, pp. 116-119; tr, H. Grégoire, pp. 492-493.

(١١٥) رأينا عدم الدخول فى تفاصيل الاحداث التالية لهزيمة ملاذكرد ، من اسر العاهل البيزنطى وحسن معاملة الب ارسلان لأسيره ، ثم اطلاق سراحه بعد ابرام اتفاقية سلام ، وما حدث من تبدل الاوضاع رأسا على عقب فى داخل الامبراطورية البيزنطية ، وغيرها من التفاصيل المعروفة فى كافة المراجع . وانما كان الهدف

الاوحد من البحث هو التركيز على التفاصيل الدقيقة لنفس معركة ملاذكرد ، مبتعدين عن احوال الامبراطورية البيزنطية وسلطنة السلاجقة قبيل معركة ملاذكرد . وتجنبنا ايضا ختام بحثنا بنتائج هذه المعركة الحاسمة لأن كل هذه المعطيات معروفة فى المراجع ومتداولة . اذن كان هدفنا الاوحد هو الاتيان بالجديد .

ثبت المصـــادر والمراجع

اولا : المصـــادر الاصلية :

(أ) المخطوطات والمصورات العربية .

(ب) المصادر العربية المنشورة .

(جـ) المصادر الاجنبية .

ثانيا : المراجع الثـــانوية :

(أ) المراجع العربيـــة .

(ب) المراجع الاجنبيـــة .

أولا : المصـــادر الاصليـــة

(أ) المخطـوطات والمصـــورات العربيـــة

ابن الجوزى « سبط » (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٧م) أبو المظفر شمس الدين يوسف قزاؤغلى : « مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » ـ جـ٩ ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٩٢٧٦ج .

ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) أبو القاسم عمر بن احمد بن عبد الله : « بغيـــة الطلب فى تـــاريخ حلب » ـ دار الكتب المصـــرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .

العينى (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد بن موسى : « عقد الجمـــان فى تاريخ أهل الزمان » ـ ٢٣ جزء فى ٦٩ مجلدا ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(ب) المصـادر العربيـة المنشـورة

ابن الاثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) أبو الحسن بن ابى الكـرم الملقب عز الدين : « الكامل فى التاريخ » ــ ١٣ جزء ــ بيروت ١٩٦٥م .

ابن الازرق الفارقى (ت ٥٧٢هـ/١١٧٧م) أحمد يوسف بن على بن الازرق : « تاريخ الفارقى » ــ تحقيق بدوى عبد اللطيف ــ بيروت ١٩٧٤م .

ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) أبو الحسن محمد بن أحمـد : « رحلة ابن جبير » ــ بيروت ١٩٧٩م .

ابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) جمال الدين أبو الفـرج بن عبد الرحمن ابن على « المنتظم فى تاريخ الملوك والامم » ــ حيـدر آباد الدكن ــ ١٣٥٨هـ .

ابن حوقل (ت فى النصف الثانى من القـرن الرابع الهجـرى) أبو القاسم النصيبى :

« كتاب صورة الارض » ــ بيروت ١٩٧٩م .

ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) عبد الرحمن بن محمد :

« العبر وديوان المبتدأ والخبر » ــ سبعة اجزاء ــ بيروت ١٩٥٨م .

ابن سعيد المغربى (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م) أبو الحسن على بن موسى :

« كتاب الجغرافيا » ــ تحقيق اسماعيل العربى ــ الجزائر ١٩٨٢م .

ابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) ابو الفضل محمد بن الشحنة الحلبى :

« الدر المنتخب فى تاريخ حلب » ــ بيروت ١٩٠٩م .

ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله :
« زبدة الحلب فى تاريخ حلب » — ثلاثة اجزاء — تحقيق سامى
الدهان — دمشق ١٩٦٨م .

ابن فضلان (القرن الرابع الهجرى) احمد بن فضلان بن عباس بن راشد
ابن حماد : « رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة الى بلاد الترك
والخزر والروس والصقالبة سنة٣٠٩هـ/٩٢١م » — تحقيق سامى
الدهان — دمشق ١٩٥٩م .

ابن الفقيه (مات فى أواخر القرن الثالث الهجرى) ابو بكر احمد بن محمد
الهمذانى : « كتاب البلدان » — ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م .

ابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن اسد بن على بن محمد :
« ذيل تاريخ دمشق » — بيروت ١٩٠٨م .

ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر :
« البداية والنهاية » — ١٤ جزء — بيروت ١٩٦٦م .

ابن ميسر (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م) محمد بن على :

« تاريخ مصر » — نشر هنرى ماسيه — القاهرة ١٩١٩م .

ابن النظام الحسينى :

« العراضة فى الحكاية السلجوقية » — تحقيق عبد المنعم حسنين —
بغداد ١٩٧٩م

ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر :
« تتمة المختصر فى أخبار البشر » — ٢ — جـ — القاهرة ١٢٨٥هـ .

أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين ابو الفدا اسماعيل
بن على :

١ ــ « تقويم البلدان » ــ نشر رينو ديسلان ــ باريس ١٨٤٠م .

٢ ــ « المختصر فى أخبار البشر » ــ ٢ جـ ــ المطبعة الحسينية بالقاهرة .

أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ــ ١٦ جـ ــ القاهرة ١٩٧٢م .

البغدادى (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق :
« مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع » ــ ٣ اجزاء ــ تحقيق على محمد البجاوى ــ القاهرة ١٩٥٤م .

البندارى الاصفهانى (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) عماد الدين محمد بن حامد الاصفهانى : « تاريخ دولة آل سلجوق » ــ هذبه الفتح البندارى ــ بيروت ١٩٧٨م .

البلاذرى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى :
« فتوح البلدان » ــ تحقيق صلاح المنجد ــ ٣ جـ ــ دار النهضة العربية بالقاهرة .

البيهقى (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٨م) أبو الفضل محمد بن حسين :
«تاريخ مسعودى المعروف تاريخ البهيقى» ــ ترجمة يحيى الخشاب ــ القاهرة ١٩٥٦م .

الحسينى (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٤م) صدر الدين أبو الحسن على الحسينى :
« زبدة التواريخ اخبار الامراء والملوك السلجوقية » ــ تصحيح محمد اقبال ــ لاهور ١٩٣٣م .

خواندمير (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) غياث الدين محمد بن همام الدين :

« دستور الوزراء » ــ ترجمة حربى أمين ــ القاهرة ١٩٨٠م .

الدوادارى (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) أبو بكر بن عبد الله بن ايبك :

« الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية » ــ تحقيق صلاح المنجد ــ القاهرة ١٩٦١م .

الذهبى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمان قايماز :

« دول الاسلام » ــ ٣ جـ ــ القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

الراوندى (ت ٥٩٩هـ/١٢١٢م) محمد بن على بن سليمان الراوندى :

« راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية » ــ ليدن ١٩٢١م

العظيمى (ت ٥٥٦هـ/١١٦١م) محمد بن على التنوخى الحلبى :

« تاريخ العظيمى » ــ نشره كلود كاهن ــ فى الجريدة الاسيوية
J.A., Juillet-Septembre, 1938, t. CCXXX.

الفارقى (ت ٦٨٧هـ/١٢٨٨م) أحمد بن يوسف على بن الازرق الفارقى :

«تاريخ الفارقى» ــ بيروت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

القزوينى (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) أبو عبد الله زكريا بن أحمد بن محمود القزوينى :

« آثار البلاد وأخبار العباد » ــ دار صادر بيروت (بدون تاريخ) .

قزوينى : حميد الله بن أبى بكر أحمد :

« تاريخ كزيدة » ــ بمباى ١٣٧٣هـ .

القلقشندى (ت ٨٢١م/١٤١٨م) أحمد بن على بن احمد بن عبد الله :

« صبح الاعشى فى صناعة الانشاء » ــ ١٤جـ ــ القاهرة ١٩١٣ ــ ١٩٢٠م .

المقدسى (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) شمس الدين أبو عبد الله محمد :

(أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » ــ ليدن ١٩٠٦م .

ياقوت (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى البغدادى :

« معجم البلدان » ــ بيروت ١٩٥٥ ــ ١٩٥٧م .

(جـ) المصـــــادر الاجنبيـــة

Aimé du Mont Cassin, Storia de' Normanni di Amato di Montecassino volgarizzata in antico francese, a Cura di Vicenzo De Bartholomaeis, Istituto Storico Itoliano per il Medio Evo, Fonti per la Storia d'Italia, Roma, 1935.

Anne Comène, Alexiade, tr. Bernard Leib, Paris, 1937, 1943, 1945.

Arisdaguès de Lasdiverd, Histoire d'Arménie, tr. Prud'homme, Paris,1864.

Aristakes de Lastivert, Récit des Malheurs de la Nation Arménienne, tr. Marius canard, Bruxelles, 1973.

Asolik, Histoire Universelle, 1ère partie, tr. E. Dulaurier, Paris, 2e Partie, tr. F. Macler, Paris, 1917.

Brosset, M., Histoire de la Géorgie depuis l'antiquité jusqu'au XIXe siécle. St. Pét., 1849-1858, 5 vols.

Bryennii Nicephori Historiarum libri quattuor, tr. Paul Gautier, Bruxelles, 1975.

Bryennios, Les quatres livres des Histoires, tr. Henri Grégoire, dans.

Byzantion, XXIII, 1953, pp. 881-926, livres III-IV.

Bryennius, Testimonis Veterum. ed. Auguste Meineke, in C.S.H.B., Bonn, 1836.

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, tr. R.J.H. Jenkis, Budapest, 1949 vol, I; Commentary, vol II.

قسطنطين السابع بورفيرو جنيتـوس : « ادارة الامبراطورية

البيزنطية » ــ ترجمة الدكتور محمود سعيد عمــران ــ بيروت ١٩٨٠م .

Georges et Démétrios Tornikés, Lettres et discours. ed. J. Darrouzés, Paris, 1970.

Guillaume d'Apulie, Les Gesta Roberti Wiscardi, tr. M. Matthieu, dane Byzantion, t. XX, 1950.

Ioannes Skylitzes Continuatus, ed. Th. Tsolakés, Thessalonique, 1968.

Lazare de Parb, Histoire d'Arménie, dans V. Langlois, Collection des Historiens Arméniens, t. II, pp. 253-368, Paris, 1869.

Leonis Diaconi Calocensis Historiae Libri Decem et Liber de Velitatione Bellica Nicephori Auqusti, éd. C.B. Hase in C.S.H.B., Bonn, 1828.

Matthieu d'Edesse, Chronique, tr. Dulaurier, Paris, 1858.

Michaelis Attaliotae, Historia, ed. I. Bekker, dans C.S.H.B., Bonn, 1853.

Michel le Syrien, Chronique, tr. J.B. chabot, Paris, 1899, 4 vols.

Nicetae choniatae, Historia, ed. I, Bekker, dans C.S.H.B., Bonn, 1835.

Psellos, Chronographie, tr. Emile Renauld, Paris, 1926-1928.

Skylitzés, Synopsis Historiarum, new éd. I, Thurn, Berlin, 1973.

Skylitzés — Cedrenus, Georgius Cedrenus Ioannis Scylitzae ope suppletus et emendatus. ed. I. Bekker, II, dans C.S.H.B., Bonn, 1839.

Thomas Ardzrouni, Histoire des Ardzrouni, tr. Brosset, St. Pét., 1874. 1876.

Vita Euthymii, Patriarche de Constantinople 906-911, ed. de Boor, Berlin, 1888.

Zonoras, Ioannis Zonorae Epitomae Historiarum, ed. Th. Büttner — Wobst, III, C.S.H.B., Bonn, 1897.

المراجع الثـــانوية

(أ) ثانيا ــ المراجع العربية

أسمت محمود غنيم (الدكتورة) :

« معركة منزيكرت فى ضوء وثائق بسيللوس » ــ مقال بمجلة كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية .

السيد البـــاز العرينى (الدكتور) :

١ ــ « المغول » ــ بيروت ١٩٨١م .

٢ ــ « الدولة البيزنطية » ــ القاهرة ١٩٦٥م .

حسين أمين (الدكتـــور) :

« العراق فى العصر السلجوقى » ــ بغداد ١٩٦٥م .

سهيل زكار (الدكتـــور) :

« مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية » ــ دار الفكر ١٩٧٥م .

عبد المنعم محمد حسنين (الدكتـــور) :

« سلاجقة ايران والعراق » ــ القاهرة ١٩٧٠م .

فايز نجيب اسكندر (الدكتـــور) :

١ ــ « الفتوحات العربية لارمينية ، دراسة تأريخية ــ أولا : حملة العرب الاولى على أرمينية سنة ١٩هـ/٦٤٠م » ــ مقـــال بمجلة سيرتا ــ العدد ٩/٨ ــ جامعة قسنطينة ١٩٨٣م .

٢ ــ « أرمينية بين البيزنطيين والاتراك السلاجقة فى ضوء كتابات جيفوند » ــ الاسكندرية ١٩٨٢م .

٣ ــ « أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين فى ضوء كتابات

أريستاكيس اللستيفرتى » ــ الاسكندرية ١٩٨٣م .

فتحى عثمان (الدكتـــــور) :

« الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحـــربى والاتصـــال

الحضارى » ــ ٣ مجلدات ــ القاهرة ١٩٦٦م .

وســـام عبد العـــزيز فرج (الدكتـــور) :

« دراســـات فى تاريخ وحضـــــارة الامبراطورية البيزنطيـــة » ــ

الاسكندرية ١٩٨٢م .

(ب) المراجع الأجنبية

Le Bas, L'Asie Mineure depuis les temps les plus anciens jusqu'a la Bataille d'Ancyre en 1402, Paris, 1973.

Bréhier, L.,

1. Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclesiastiques, Paris, 1938. pp. 996-998.
2. Les Institutions de l'Empire Byzantin, Paris, 1949.
3. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1969.

Bury, J.B., Eastern Roman Empire, London, 1889.

Cahen, Cl.,

1. La première Pénétration Turque en Asie Minèure, Dans Turcobyzantina, London, 1974, fasc. I.
2. La Campagne de Mantzikert d'Après les sources Musuimanes, dans Turcobyzantina, London. 1974, fasc.. II.
3. La Syrie du Nord à l'Epoque des Croisades, Paris, 1940
4. Pre — Ottoman Turkey : A General Survey of the Material and Spiritual Culture and History. C. 1071-1330, London, 1968.
5. L'Iran du Nord — Ouest en face à l'expansion Seldjukide, dans Turcobyzantina, fasc. VI.

Canard, M., Histoire de la Dynastie des Hamdanides, Paris, 1953.

Carile.,

1. Il problema della identificazione del Cesare Niceforo Briennio, Aevum, 38/I-II, 1964, pp. 74-83.

2. Il «Cesare» Niceforo Briennio, Aevum, 42/V-VI, 1968, pp. 429-454; Aevum, 43, VII, 1969, pp. 56-87.

Cavallera, f.,

Dictionnaire de Theologie Catholique, art. Poussines Pierre, XII, 2, Paris, 1935, col; 2668-2670.

Charanis, p., The Byzantine Empire in Eleventh Century, dans A History of the Crusades, ed. K.M. Setton, London, 1969, pp. 177-220.

Cousin, M., Histoire de Constantinople depuis le reigne de l'ancien Justin jusqu'a la fin de l'empire, traduite sur les originaux

grecs, III, Paris, 1685.

Diehl, ch.,

1. Justinien et la Civilisation Byzantine au XIe siecle, Paris, 1901.

2. Le Titre de Proedre, dans Melanges Schlumberger, t. I. Gautier, p., Etude Prosopographique, dans R.E.B., 29, 1971.

Grousset, R.,

1. Histoire de l'Armenie, Paris, 1973

2. L'Empire du Levant, Paris, 1946.

Guilland, Recherches sur les Institutions Byzantines, 2 vols, Berlin, 1967.

Honigmann, E., Die Ostgrenze des Byzantinischen Reiches von 363 bis 1071, Bruxelles, 1935.

Janin, Constantinople Byzantine. Paris, 1964.

Laurent,

1. Byzance et les Turcs Suldjoucides dans l'Asie Occidentale jusqu'en 1081, Nancy — Paris, 1919.

2. L'Arménie entre Byzance et L'Islam. Nouvelle edition par Marius Canard, Lisbonne, 1980.

3. La Chronologie des Gouverneures d'Antioche sous la seconde Domination Byzantine, Mélanges de l'Université Saint — Joseph, 38/10, 1962.

Lemerle, P.

1. Acte de Kutlumus, Paris, 1945.

2. Le Typikon de Grégoire Pakourianos (Decembre 1083), dans cinq Etudes sur le XIe siecle Byzantin, Paris, 1977, art. III.

3. Le Testament d'Eustathios Bollas (Avril 1059), dans cinq Etudes, art. I.

4. Byzance au Tournant de son destin, dans cinq Etudes, art. V.

Lot, F., L'Art Militaire et lés Armées au moyen Age, Paris, 1946, 2 vols.

Manandian, H.A., The trade and Cities of Armenia in Relation to the Ancient World trade, tr. G. Garsoian, Lisbonne, 1965.

Polemis, the Doukai. A Contribution to Byzantine Presegraphy, Londres, 1968.

Rice, T.T., Byzantium, London, 1969.

Schlumberger, G., L'Epopée Byzantine à la fin du dixieme siècle, Paris, 1896-1905, 3 vols.

Seger, Byzantinische Historiker des Zehnten und eltten Jahrhunderts. I. Nicephoros Bryennios. Eine philologisch — Historische Unterschung, Munich, 1888.

Vasiliev, A.A.,

1. Histoire de l'Empire Byzantin, Paris, 1932, 2 vols.

2. History of the Byzantine Empire, U.S.A., 1958, 2 vols.

Weiss; Biographie Universelle Ancienne et Moderne, 35, Paris, 1823, pp. 586-588.

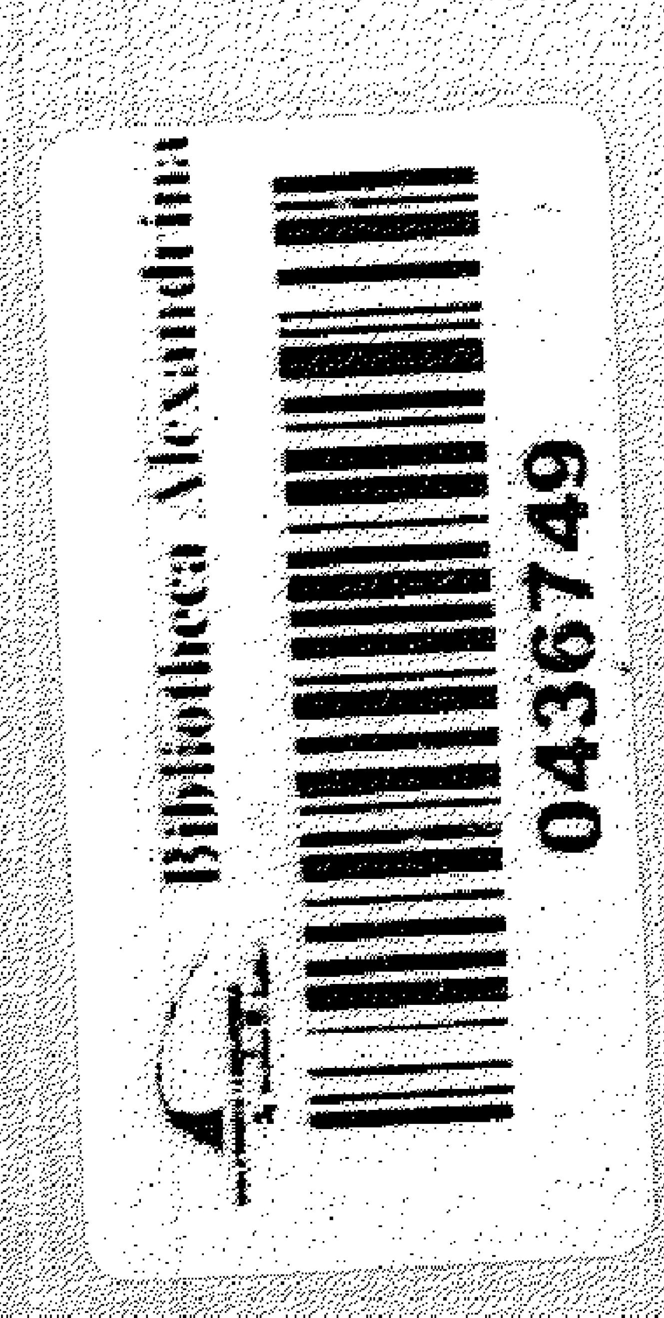
Wittek-De Jongh, le Cesar Nicephore Bryennios. L'Historien et ses ascendants, Byzantion, XXV, 1953, pp. 463-468.

محتويات الكتاب

دار نشر الثقافة بالاسكندرية
١٣ شارع حسبو منشا ـ محرم بك
ت : ٢٠٦٢٥ / ٣٢١٩٨




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


Bibliotheca Alexandrina
0436749